الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الو نشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

دراسة في كتاب: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري

للأستاذ الدكتور مُحَمَّد مصطفى هدارة

إعـــداد:

باية الحبيب

إشـــراف:

الدكتور: تواتي خالد

أعضاء لجنة المناقشة

د. بن حنيفية فاطمة	المركز الجامعي تيسمسيلت	رئيـســـا
د.تواتي خالد	المركز الجامعي تيسمسيلت	مشرفا ومقررا
د. بوغنة فاطمة	المركز الجامعي تيسمسيلت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1437/1438هـ-2016/2017م

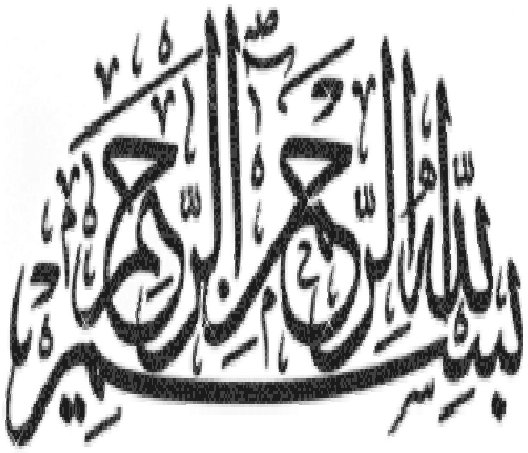
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أبتدئ بحمد الله وشكره والذي بفضله تتم الصالحات.

وعملا بقوله تعالى: {**وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**}، لا يسعني إلا

أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ ، الدكتور:

"تواتي خالد" المشرف على هذه المذكرة فجزاه الله عني خير الجزاء، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كافة الأساتذة الأفاضل بمعهد اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي- تيسمسيلت- أحمد بن يحي الونشريسي، وإلى كل من مدنا بيد المساعدة من قريب أو من بعيد.

إهـــداء

إلى والدي العزيز رحمه الله ؛

إلى الوالدة أطال الله في عمرها ؛

إلى عائلتي؛

إلى إخوتي أخواتي الأحباء ؛

إلى زملائي وأصدقائي؛

بطـاقة فنية للكتاب

اسم المؤلف: مُحَمَّد مصطفى هدارة.

عنوان الكتاب: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري.

الطّبعة: دون طبعة.

دار النشر: دار المعارف كورنيش النيل القاهرة.

البلد: مصر

سنة النَّشر: 1963م

حجم الكتاب: 31 سم / 21 سم

عدد صفحات الكتاب: 681 ص.

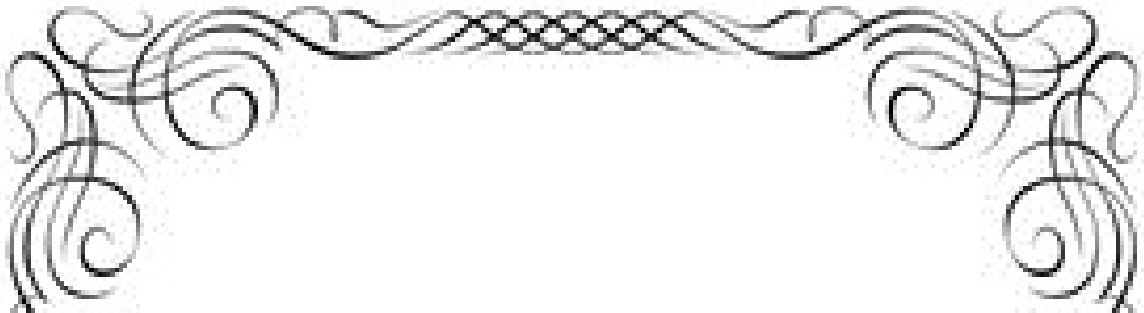

مقدمة

مقدمة:

لقد شهد القرن الثَّاني الهجري تطورا ملحوظا على جميع مناحي الحياة السِّياسية والاجتماعية والثَّقافية نتيجة دخول العديد من القبائل والشُّعوب تحت راية الدَّولة الإسلامية، وقد كان لهذا انعكاس بطبيعة الحال على الحياة الأدبية بجميع أشكالها من شعر ونثر، حيث ظهرت العديد من الفنون التّي لم يحظ بها العرب من قبل، وكذلك لم ينل الأدب في تلك الحقبة حظه من التَّأليف، ولم يعن بعناية الدَّارسين ولم يظفر ببحوث خاصة تكشف عن غوامضه.

وتظهر للدَّارسين ما فيه من تشعبٍ فكري ممَّا دفع هدَّارة إلى التأليف في تاريخ الأدب العربي ووسمه بـ"اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري"ليتقصى ملابسات الشِّعر وتضاريسه وتموجاته والتَّغيرات التّي طرأت عليه خلال القرن المذكور.

وقد كان وراء اختياري لهذا الكتاب وإنجاز قراءة حوله بحيث تكون مضامينه مادة خصبة لإنجاز مثل هذا العمل الأكاديمي جملة من الدَّوافع تتراوح بين الذَّاتية والموضوعية أذكر منها:

أوَّلا: الدوافع الذَّاتية

تكمن في مدى شغفي بالتَّعرف على الحقل المعرفي المتغير والمتطور في هذا القرن ومدى أهميته وإسهاماته في إضافات جديدة تصب كلها في تاريخ الأدب العربي، وممَّا لا شك فيه تقديم مذَّكرة تخرج للحصول على شهادة الماستر.

ثانيًا: الدَّوافع الموضوعية.

وتمثَّلت في نظرة المؤلف المختلفة في طرحه للقضايا الأدبية وطريقة التَّعامل معها في هذا القرن عن بقية المؤلّفين في هذا الموضوع من معاصرين أو ممن سبقوه.

ولمعالجة أغوار مضامين هذا الكتاب طرحت جملة من الإشكاليات أهمُّها ما يلي:

- ماهي القيمة المعرفية التّي أضافها الباحث في حقل تاريخ الأدب العربي؟
- من هو الكاتب محمَّد هدَّارة؟
- وماهي مكانته العلمية بين المؤلّفين الأخرين؟
- وماهي أهمّ القضايا التّي أثارها في كتابه؟ وما هو منهجه في معالجة هذه الإشكالية؟

وللوقوف على معالجة هذه الإشكاليات اتَّبعنا الخطة التَّالية:

الفصل الأوَّل: دراسة حول الكاتب والكتاب.

وجاء هذا الفصل في ثلاث مباحث تمثلت في:

المبحث الأوَّل: سيرة المؤلف وحياته.

المبحث الثَّاني: عتبات الكتاب.

المبحث الثَّالث: المادة المعرفية التّي اعتمدها الكاتب من الكتب وغيرها.

الفصل الثَّاني: دراسة في مضمون الكتاب.

حيث اعتمدت في هذا الفصل على ثلاث مباحث:

المبحث الأوَّل: دواعي التَّأليف.

المبحث الثَّاني: طبيعة العصر المتناول.

المبحث الثَّالث: المنهج المتبع في الكتاب.

الفصل الثالث: أهم القضايا الكبرى في الكتاب.

وكسابقيه جاء في هذا الفصل ثلاث مباحث:

المبحث الأوَّل: تطور أغراض الشِّعر من العصر الجاهلي إلى القرن الثَّاني الهجري.

المبحث الثَّاني: الاتجاهات الجديدة في القرن الثَّاني .

المبحث الثَّالث: مزايا الكتاب.

وقد ذيّلت بحثي هذا بخاتمة كانت خلاصة لهذا البحث تناولت فيها أهمَّ ما توصلت إليه في إعداد هذه الدِّراسة.

وقد فرضت عليّ طبيعة البحث أن أستعين بالمنهج الوصفي التَّحليلي الّذي يلائم هذا النَّوع من الدِّراسات، وكان اهتمامي في هذا البحث على سياق النَّص أكثر من النَّص في حدِّ ذاته لأنَّ الكاتب اعتمد في دراسته على المناهج السياقية في معالجة قضاياه.

كما لا أنسى أنَّ أثناء قيامي بإنجاز هذا البحث اعترضتني بعض العوائق والصُّعوبات، نذكر أهمَّها:

- قلّة الدِّراسات حول هذا المرجع.
- ضخامة المادّة المعرفية الّتي يتضمّنها هذا المنجز وصعوبة الرَّبط بينها.
- عدم وجود دراسات سابقة تناولت هذا المنجز بالدراسة ممَّا جعلنا نتخلّى عن مبحث الاستدراكات لعدم وجود آراء للنُّقاد فيها.

وفي ختام هذا التَّقديم لا يوجد ما هو أعزّ في النَّفس من الاعتراف بفضل الآخرين عليّ لمساعدتهم إياي في إنجاز هذا البحث سواءٌ من قريب أو من بعيد، وعلى رأسهم أستاذنا المشرف "تواتي خالد" الذي لم يدخر جهدا في تقديم التَّوجيهات والنَّصائح التي كان لها الفضل في إتمام هذا العمل.

كما أرجو أن أكون قد وفّقت إلى حدّ ما في دراسة قضايا الكتاب ومعالجتها بشكل موضوعي ومنهجي صحيح، ولا أشكّ أنَّ بحثي هذا لا يخلوا من النَّقائص، فقد جلَّ من لا يخطئ.

الفصل الأول
دراسة حول
الكاتب والكتاب

المبحث الأوَّل: مُحَمَّد مصطفى هدَّارة (السيرة الذاتية)

نشأته وتعليمه[1]:

محمَّد هدّارة مفكر وأديب ولد سنة 1930 بالإسكندرية حيث شرب من مناهل الثَّقافة العربية الإسلامية بدء من الكتَّاب وانتهاءً بقسم اللّغة العربية، وقد تتلمذ على يد أساتذة كبار نذكر منهم:

- محمود مُحَمَّد شاكر.
- طه حسين.

ومن خلال هذين العلمين نعرف بأنَّ الدّكتور مُحَمَّد هدّارة قد جمع بين الأصالة والمعاصرة امتزاجا وثيقا لا نشاز فيه ولا تنافر.

تلقى تعليمه الابتدائي بمدارس المدينة السّاحلية، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلّية الآداب بجامعة الإسكندرية عام 1952م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشَّرف الأولى، ثمَّ حصل على الماجستير عام 1957م بتقدير ممتاز وعلى الدكتوراه عام 1960م بمرتبة الشَّرف الأولى.

المناصب التّي شغلها والأعمال التي تقلدها:

- عيِّن معيدا بكلية الآداب بجامعة شمس.
- عمل ملحقا ثقافيا بجامعة الدّول العربية حتَّى عام 1960م.
- عيِّن مدرسا بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية وترقى أستاذا مساعدا في عام 1966م وأستاذا في عام 1972م.
- عضو لجنة الدِّراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثَّقافة.

[1]- موقع الدكتور مُحَمَّد هدارة على الانترنت.

- عضو اتحاد الكتاب.
- رئيس مجلس إدارة نادي القصة بالإسكندرية.
- عضو اللّجان العلمية الدَّائمة لفحص الإنتاج العلمي للمتقدمين للتّرقية إلى درجة أستاذ وأستاذ مساعد في اللّغة العربية وآدابها.
- عضو بمجلس إدارة تحرير دار الشروق.
- مستشار لتحرير مجلة الرَّافعي.

الأعمال والمؤتمرات التّي شارك فيها:

- فحص الأعمال العلمية لأكثر من مائتي متقدم في الجامعة المصرية والعربية.
- الاشتراك في كتابة مجلد تاريخ الحضارة العربية يصدر بعدة لغات عن إحدى دور النَّشر اللّبنانية.
- الاشتراك في تأليف سلسلة روائع التّي يصدرها المجلس الأعلى للثَّقافة.
- الإسهام في تحرير مواد الموسوعة العربية العالمية التِّي أصدرتها دار الشُّروق عام 1994م.
- المشاركة في المؤتمر الثَّقافي العربي الرَّابع في دمشق عام 1957م.
- المشاركة في المؤتمر العربي الخامس 1959م.
- المشاركة في مؤتمر اليونسكو ببيروت 1959م.
- مؤتمر الجامعات العربية ببنغازي 1960م.
- مؤتمر اللّغات الإفريقية الذي عقد بلاغوس بدولة نيجيريا عام 1982م.
- مهرجان المربد في بغداد أعوام 1986، 1987، 1988 م.

الجوائز التّي حصل عليها:

- جائزة التفوق الأدبي في اللغة العربية عام 1948م.
- جائزة الرواية التَّاريخية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عام 1960م.
- جائزة صدام حسين في فرع تاريخ الأدب العربي عام 1988م.
- جائزة اليماني في نقد الشِّعر عام 1996م.[1]

مؤلفاته:

لقد تنوعت كتب الدكتور مُحَمَّد هدارة مابين مؤلف ومحقق ومترجم ويمكن ذكر بعض هذه الكتب على النحو التالي:

الكتب المؤلفة:

- تيارات الشِّعر العربي المعاصر.
- التَّجديد في شعر المهجر.
- مشكلة السرقات في النَّقد الأدبي.
- اتجاهات الشَّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري (هذا الكتاب هو موضوع دراستنا).
- دراسات في الشِّعر العربي (جزءان).
- مقالات في النَّقد الأدبي.
- الشِّعر العربي في العصر الجاهلي.
- المأمون الخليفة العالم.
- النَّقد الأدبي الحديث.
- دراسات في النَّقد الأدبي بين النَّظرية والتَّطبيق.

[1]– منتديات باب كوم على الأنترنت، مُحَمَّد هدّارة الفارس الذّي ودعناه.

- دراسات في النَّثر العربي الحديث.
- الشِّعر العربي الحديث.
- المنصورة.
- الشِّعر العربي المعاصر إلى أين ؟(دراسة أدبية تطبيقية لشعراء الأقاليم).
- مطبوعات مجلة الرَّافعي.

كتب محققة:

- سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت.
- ضرائر الشِّعر للقرار القيرواني.
- نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز للفخر الرَّازي.
- مختارات البارودي.

كتب مترجمة :

- الإسلام لألفريد غيوم.
- يوميات هيروشيما.
- قاهر القطب الجنوبي ريشارد بارد.
- الملاح الصغير جين جولد.
- عالم القصّة برنارد ديفوتو.

وفاتــه:

توفي في يوم الخميس 27 من شوال 1471هـ الموافق ل4 مارس سنة 1997م.

المبحث الثَّاني: دراسة في عتبات الكتاب

جاء في معجم لسان العرب: "العتبة: أسكفة الباب التّي توطأ، والجمع عتب وعتبات والعتب الدّرج وعتب الدّرج: مراقبها إذا كانت من خشب وكل مرقات منها عتبة "[1].

ويقال إنَّ العتبات هي مجموع العناصر المحيطة بالنَّص كالعنوان والمقدّمات والإهداءات، وكلمات النَّاشر، وكلّ ما يمهد للدّخول إلى عالم الكتاب [2]، فلا يمكننا الولوج إلى مكنوناته دون الاطّلاع على هذه العتبات، وسنقتصر على أهم ثلاث عتبات وهي العنوان والتَّمهيد والفهرس.

العتبة الأولى: العنوان

وفقا لما ورد في المعجم الوسيط والمعاجم العربية الأخرى: "عنون الكتاب عنونة وعنوان: كتب عنوانه والعنوان ما استبدل به على غيره ومنه عنوان الكتاب فالعنوان إظهار الخفي ووسم المادة المكتوبة "[3].

أمَّا اصطلاحا فالعنوان علامة لغوية تعلو النَّص وتغري القارئ بقراءته، فمن دون العنوان تبقى الكتب مكدَّسة على رفوف المكتبات، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه ونشره وشهرة صاحبه، ونظرا لأهميته فقد شغلت عناوين الكتب في الدِّراسات الحديثة حيزاً كبيرا من اهتمامات النُّقاد كما تتجلّى أهميته فيما يثريه من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية الكتاب فهو شهية القارئ للقراءة أكثر[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبوشادي ومجد فتحي السَّيد، ج9، المكتبة التَّوفيقية، د. ط، مصر، ص29.

[2]- حميد الحمداني، عتبات النَّص الأدبي، مجلَّة علامات في النَّقد، النَّادي الأدبي بجدة، ج12، العدد 46، ص14.

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، 2003، ص633.

[4]- جميل حمداوي، السِّيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثَّقافة، الكويت، العدد3، مج25، 1997، ص97.

ومن هنا على كلّ مؤلف أن يختار عنوانا يتناسب مع مضمون كتابه، والأديب الدّكتور محمَّد مصطفى هدّارة اختار عنوانا لكتابه (اتجاهات الشّعر العربي في القرن الثّاني الهجري)، وهذا العنوان مركب من عدّة مفردات:

اتجاهات: ومعناها المسار.

الشِّعر: في اللّغة: العلم، وفي الاصطلاح: كلام مقفًى موزون على سبيل القصد[1].

العربي:خلاف العَجَم وهم سكان الأمصار، والعربيّ بيّن العربية والعروبة[2].

القرن الثَّاني الهجري: وهي الحدود الزَّمانية للدِّراسة.

يكاد يكون هذا العنوان الذي اختاره محمَّد هدّارة التِّيمة الملخِّصة للمضامين العامة للكتاب،والمعبِّر الأمين عن الأفكار التي يتَّضمنها، فعنوان كتابنا هذا محدّد بالقرن الثَّاني، والذي يحيل إلى القضايا الكبرى المتَّعلقة بمنجزات الأدب العربي وتخصصها باتجاهات الشِّعر خلال الفترة الزَّمنية المحدَّدة في هذا العنوان أي في القرن الثَّاني الهجري.

العتبة الثَّانية: التَّمهيد

يُقصد بالتَّمهيد في المعنى اللّغوي التَّهيئة والتَّوطئة والتَّقديم والتَّبسيط والتَّسهيل والتَّسوية والتَّذليل[3] أما اصطلاحا فهو إعطاء القارئ فكرة عامة عن النَّظام أو الأنظمة التّي يتناولها في البحث مع تحديد الاصطلاحات أو المفاهيم المتعلقة بالبحث،كما يتناول موضوعات متناثرة ولكن ليست مكانها في صلب الرِّسالة أو في متن البحث، وإنَّما يضطر الباحث إلى تناولها على استقلال وذلك لتهيئة ذهن

[1] – علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص127.

[2] –مجد الدِّين بن مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مج1، تح: مجدى فتحي السَّيد، المكتبة التوفيقية، د. ط، القاهرة، ص129.

[3] – إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط مادة (مهد)و (وطئ).

القارئ إلى ما سيرد في صلب البحث[1]، وتكمن أهميته في اعتباره البوابة الرئيسية والمدخل الأساس الذي نلج من خلاله إلى هذا الكتاب.وقد افتتح محمَّد هدّارة كتابه بتمهيد تضمن العناصر التَّالية:

أهمية موضوع البحث وصلته به:

بعد دراسته في النَّقد والأدب أدت به هذه الأخيرة إلى إدراك الأهمية البالغة للقرن الثَّاني الهجري في التاريخ الطَّويل للأدب العربي منذ نشأته قبل الإسلام بفترة قرنين على الأكثر، وكان اهتمام محمَّد هدارة بالشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري يرجع إلى أيام دراسته الجامعية الأولى، حين كتب بحثا عن الشِّعر إبَّان الفتنة السياسية المسلحة التّي حدثت بين الأخوين الأمين والمأمون،فوضع يده على اتجاهات جديدة في شعر تلك الفترة لم يسجلها الدَّارسون الّذين يهتمون بالأدب ولم يشيروا إليها من قريب أو من بعيد[2].

جهود الباحثين المحدثين:

قسَّم محمَّد هدارة الدِّراسات الحديثة التّي تتصل بهذا البحث بوشيجة أو بأخرى إلى أنواع خمسة:

- دراسات كتبت في تاريخ الأدب العربي بصفة عامة بعضها يقف عند تاريخ معين وبعضها الآخر يصل إلى العصر الحديث.
- دراسات عامة في تاريخ الدَّولة العربية بصفة شاملة أو في تاريخ الأدب العربي بصفة خاصة وهي متنوعة الاتجاهات ولكنَّها تهتم على العموم بدراسة النَّواحي الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والسِّياسية والعقلية.
- دراسات متخصصة في موضوع من موضوعات الشِّعر العربي أو في اتجاه من اتجاهاته أو تتناوله في عصوره المختلفة.

[1]- محمَّد بن فهد البشر، تطبيقات البحث في مناهج العلوم الشَّرعية، من الموقع الالكتروني: http://fac.ksu.edu.sa.بتاريخ 2017/04/15.

[2]- محمّد مصطفى هدّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مكتبة الدِّراسات العربية، مطابع دار المعارف، 1963، د.ط، ص10.

- دراسات قصرت نفسها على دراسة بيئة شعرية معينة دون غيرها من البيئات الأخرى.
- دراسات تتناول شاعراً أو أكثر من شاعر من شعراء القرن الثّاني، تحلّل شعره وشخصيته وتربطه ببيئته وزمانه الّذي عاش فيه في بعض الأحيان.

سبب اختيار القرن الثّاني للدِّراسة:

يُرجع الأديب "هدَّارة" أسباب تحديد دراسته بالقرن الثّاني الهجري ولم يتبع التَّقسيم المتعارف عليه هو حدوث تطور شعري جديد وظهور اتجاهات في الشِّعر العربي أحدثتها التَّغيرات الخطرة التّي جدّت بها في الحياة الجماعية العربية وأخذت تعمل عملها طوال القرن الأوَّل إذ يقول: "إنَّ تقسيم عصور الأدب بحسب التَّاريخ السِّياسي فيه إفتئات على تطور الشِّعر وعلى طبيعة هذا التَّطور،لأنَّه يرتبط بالأحداث السِّياسية ارتباطا كاملا.

ومع ذلك الكثير من الدَّارسين ساروا في دراستهم على التَّقسيم المتعارف عليه فكانت نتائجهم في الغالب خاضعة لحكم هذا التَّصنيف السِّياسي"[1]،ويضيف هدَّارة سبب رفضه على أساس التَّقسيم السِّياسي أنَّه لا يقصد بالقرن الثّاني الهجري السنوات المائة التَّاريخية، ولكنَّه يتحدث عن التَّطور الشِّعري الّذي حدث في هذا القرن، وقد تكون بداية هذا التَّطور قبل سنة 100هـ أو بعدها وقد تكون نهاية هذا التَّطور ليخلي السبيل لتطور من نوع جديد بعد سنة 200هـ أو قبلها.

نتائج البحث الجديدة:

دراسة شاملة لكلّ اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثّاني الهجري سواء ما كان جديدا أو مجدّداً،بل ما كان منها امتدادا لحياة الشِّعر الجاهلي الّذي ظلّ مسيطرا على عقول بعض الشُّعراء أمدا

[1]– محمّد مصطفى هدّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثّاني الهجري، ص18.17.

طويلاً،ويضيف هدَّارة بقوله: "فإنّي لست أدَّعي أنَّ هذا البحث استفتح مغاليق أسرار، ولكنِّي أزعم أنَّه قد توصل إلى بعض النَّتائج الجديدة "[1].

العتبة الثَّالثة: فهرس الموضوعات

الفهرس لغة جاء في المعجم الوسيط"الفهرس: هو ملحق يوضع في أوَّل الكتاب أو في آخره، يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام والفصول والأبواب مرتبة بنظام معين "[2].

والفهرس ضروري في المؤلف خلال الفهرس نعرف تصنيف الموضوعات وتبويبها في المؤلف، وقد جاء فهرس هدَّارة في كتابه على النحو التَّالي:

تمهيد.

الباب الأوَّل: المؤثرات

الفصل الأوَّل: التَّأثير السِّياسي.

الفصل الثَّاني: التَّأثير الاجتماعي.

الفصل الثَّالث: التَّأثير الثَّقافي.

الفصل الرَّابع: التَّأثير الاقتصادي.

الباب الثَّاني: الاتجاهات الموضوعية

مقدّمة.

الفصل الأوَّل: الاتجاهات العامة.

الفصل الثَّاني: الاتجاهات الجديدة.

الفصل الثَّالث: الاتجاهات المجدِّدة.

[1]- محمّد مصطفى هدّارة، إتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، ص10.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص704.

الباب الثَّالث: الاتجاهات الشَّكلية

الفصل الأوَّل: الأوزان ولغة الشِّعر.

الفصل الثَّاني: الصِّيغة الشِّعرية.

خاتمة.

الفهارس.

فهرس المصادر.

فهرس بأسماء شعراء القرن الثَّاني الهجري.

فهرس الأعلام.

من خلال هذه العتبات نلاحظ أنَّ القضايا التِّي يودُّ أن يعالجها محمَّد هدَّارة في منجزه واضحة تمام الوضوح أمام عينيه، وذلك لتمثُّله للنَّظريات النَّقدية وتطورها في القرن المدروس، لذلك كتب في النَّقد الأدبي منجزا يعزُّ مثيله ينمُّ عن ثقافة واسعة و فكر منظم.

المبحث الثَّالث: المادة المعرفية المعتمد عليها في الكتاب

لقد اعتمد محمَّد هدارة في كتابه "اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري"، على مادة معرفية متنوعة والتّي أخذها من أمهات الكتب:

- البيان والتَّبيّين للجاحظ.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.
- الشِّعر والشُّعراء لابن قتيبة.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- العمدة في صناعة الشِّعر ونقده لابن رشيق القيرواني.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدَّينوري.
- الفهرست لابن النَّديم.
- الكامل لأبي العبَّاس المبرد.
- المؤتلف والمختلف للآمدي.
- مروج الذَّهب للمسعودي.
- صفوة الصفوة لابن الجوزي.
- أدب الكاتب للصُّولي.

كما اعتمد على كثير من الكتب الحديثة نذر منها:

- أبو نواس لعبَّاس العقاد.
- تاريخ الشِّعر السِّياسي لأحمد الشَّايب.
- تاريخ الشِّعر العربي حتَّى القرن الثَّالث هجري لنجيب محمَّد البهبيتي.
- التَّجديد في الشِّعر الأموي لشوقي ضيف.
- تطور الخمريات في الشِّعر العربي لجميل سعيد.
- دراسة في الأدب الإسلامي لمحمَّد خلف الله أحمد.

- الصِّراع بين الموالي والعرب لمحمَّد بديع شريف.
- شهيدة العشق الإلهي (رابعة العدوية) عبد الرَّحمن بدوي.
- ضحى الإسلام أحمد أمين.
- الفتنة الكبرى طه حسين.

كما اعتمد على بعض الكتب الاستشراقية منها:

- تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان.
- تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا.
- الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية لفون كريمر.
- الخلافة لتوماس أرلوند.
- الخوارج والشِّيعة ليوليوس قولهوزن.
- روح الحضارة العربية لهانرهنريش.
- الشِّعر الأندلسي لأميليو غارسيا.

وهذه القائمة الكبيرة من الكتب دليل على سعة اطلاع محمَّد هدارة على كل من الثَّقافة العربية القديمة والحديثة واطّلاعه على الفكر الغربي، ومدى حرصه لإخراج هذا الكتاب في أحسن صورة وأفضل أسلوب.

الفصل الثاني

دراسة في مضمون الكتاب

المبحث الأوَّل: دواعي تأليف الكتاب

حين فرغ الدُّكتور محمَّد هدارة من رسالته التّي حصل بها على رسالة الماجستير في الآداب، حاول البحث عن موضوع يصلح أن يكون رسالة الدُّكتوراه فلم يطل بحثه عن هذا الموضوع فسرعان ما أدرك ناقدنا أهمية القرن الثَّاني في تاريخ الحضارة العربية عمومًا وتاريخ الأدب والنَّقد خصوصاً، منذ نشأ هذا الأدب قبل الدَّعوة المحمَّدية إلى غاية يومنا هذا، وعلى رغم هذه المكانة التّي يحظى بها هذا القرن بالذَّات في تاريخ الأدب لم يخصص له دراسة مستقلة تفرده بالبحث[1].

فجلُّ الدِّراسات كانت تتناول تاريخ الأدب والنَّقد عموما منذ نشأته إلى القرن الرَّابع أو ما بعده أو تخصص بدراسة ظاهرة أدبية معينة أو شخصية من شخصيات الأدب العربي القديم، "ويتبدى في جلاء للدَّارسين الّذين يبغون إستكناه أدب تلك الفترة والإحاطة باتجاهاته ودوافعه ومراميه، أمَّا أولئك الّذين يكتفون في دراستهم بالظَّواهر القريبة فيظنون أنَّ أدب هذه الفترة قد قتل بحثاً لكثرة ما ترامى إلى أسماعهم من أصداء عن بشَّار وأبي نوَّاس وأبي العتاهية ومن إليهم من فرسان الشِّعر في القرن الثَّاني "[2].

وقد أكَّد محمَّد هدارة أنّ تاريخ اهتمامه بالشِّعر العربي في هذا القرن يعود إلى أيام دراسته في الجامعة إذ يقول: "والحقيقة إنَّ تاريخ اهتمامي بالشِّعر العربي يعود إلى أيام دراسته الجامعية الأولى حين كتبت بحثاً عن الشِّعر إبَّان الفتنة السِّياسية المسَّلحة التّي حدثت بين الأخوين: الأمين والمأمون، ووضعت يدي على اتجاهات جديدة في شعر تلك الفترة لم يسجلها الدَّارسون الّذين يهتمون بالأدب الرَّسمي، ولا أشاروا إليها من قريب أومن بعيد، ومنذ ذلك الوقت وصلتي بالشِّعر في القرن الثَّاني لا

[1]- ينظر: محمَّد مصطفى هدّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1963، ص9.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

تنقطع إذ أحسست أنَّ من واجبي أن أسجِّل في دراسة أتقدَّم بها إلى الجامعة كلّ اتجاهات الشِّعر في القرن الثَّاني سواء ما كان منها جديدًا أو مجدداً"[1].

وقد علمنا ممّا سبق أنَّ ناقدنا قد حدَّد الإطار الزماني وحدود دراسته بالقرن الثَّاني ولم يتبع التَّقسيم المتعارف عليه فيجعل حدود بحثه إما العصر الأموي وإما عصر مخضرمي الدَّولتين أو العصر العبَّاسي الأوَّل وتعليل هذا في رأي ناقدنا له جوانب كثيرة "أولها إنَّ تقسيم عصور الأدب بحسب التَّاريخ السِّياسي فيه افتئات على تطور الشِّعر وعلى طبيعة هذا التَّطور، لأنَّه يرتبط بالأحداث السِّياسية ارتباطا كاملاً ومع ذلك فإنَّ كثيراً من الباحثين ساروا في دراستهم على نهج التَّقسيم المتعارف عليه فكانت نتائجهم -في الغالب- خاضعة لحكم التَّضيِّيق السِّياسي"[2].

غير أننا نجد خروجا على هذه التَّقسيمات من قبل عدَّة من الباحثين نذكر منهم على سبيل المثال كل من "جب " و"بلاشير" ومن العرب مصطفى صادق الرَّافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب"حيث يكون قد حدّد بحثه في هذه الفترة على "أساس بدء حدوث تطور شعري جديد وظهور اتجاهات في الشِّعر العربي أحدثتها التَّغيرات الخطيرة التّي جدَّت في حياة الجماعة العربية وأخذت تعمل عملها طوال القرن الأوَّل "[3]، ومن المعلوم بداهة بعد رفض هدَّارة للتَّقسيم التَّاريخي السَّائد أنَّه لا يقصد بالقرن الثَّاني السَّنوات المائة الثَّانية التَّاريخية، ولكنَّه يتحدث عن تطور الشِّعر في هذا القرن فقد تكون بداية التَّطور قبل سنة 100هـ أو بعدها، وقد تكون نهاية التَّطور قبل سنة 200هـ أو بعدها.

وبعد إنجازه لهذا البحث كان يرجوا أن يكون له "بعض النَّفع للمتخصصين في الدِّراسات العربية وغير المتخصصين، الّذين يبغون الاطّلاع على جانب مشرق ومضيء من تاريخ الأدب العربي ينبض بالحياة ويزخر بالحركة، وتتمثَّل فيه روح العروبة المتوقدة المتجدِّدة التّي لا ترضى بالخمول والسُّكون

[1]- محمَّد مصطفى هدّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، ص09-10.

[2]- المرجع نفسه، ص17.

[3]- المرجع نفسه، ص20.

وتتطلع إلى الأمام في سبيل حياة أفضل ومجدٍ جديد "[1]وكان يأمل أيضاً أن "يسدَّ هذا البحث فراغاً في الدِّراسات الأدبية "[2].

وممَّا سبق يمكن تقسيم الدَّوافع التّي جعلت محمَّد هدَّارة يقوم بهذا البحث إلى دوافع ذاتية (منفعة خاصة)، وتتمثَّل في حصوله على شهادة الدّكتوراه واكتساب المزيد من المعرفة بخوض غمار تجربة بحث جديد، ودوافع علمية تكمن في تقديم بحث يفيد الدَّارسين المتخصصين وغير المتخصصين في الأدب العربي وسد فراغ في الدَّرس الأدبي.

[1]– محمَّد مصطفى هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، ص20.

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

المبحث الثَّاني: طبيعة العصر المتناول

لقد اختلفت سمات المجتمع العربي والإسلامي مع تولي بني العبَّاس للخلافة التّي قامت دولتهم بعد سقوط دولة بني أمية، حيث اختلف هذا المجتمع عن المجتمع الّذي ألفناه لدى قيام دولة الإسلام في بدايتها مع النَّبي ﷺ وحتَّى عن عهد بني أميَّة وكان هذا الاختلاف شاسعاً بيّنا بين مجتمع ما قبل الدَّولة العبَّاسية ومجتمع ما بعد قيامها، ولعلّنا نلخص في هذا المبحث أهمَّ ما ميَّز هذا العصر من ظروف كانت سبباً في تطور الأدب وفنونه نذكر منها:

الظُّروف السِّياسية:

تُعدّ الثَّورة التّي قام بها "بنو العبَّاسّ "ضدَّ "بني أمية "آخر الثورات التّي نشبت ضدهم، وهذه الثَّورات أراد بها أصحابها الإصلاح الاجتماعي، ومنهم من كان يتخذ إلى ذلك السِّلم كما هو معروف عند الفقهاء، وجلُّهم كان يتخذ طريق العنف والقتال يريد من وراء ذلك تحطيم حكم بني أمية وسلطتهم على رقاب المسلمين، وقد ثار هؤلاء على الدَّولة الأموية بالسِّلاح في مراتٍ عديدة، ولطالما كان رد بني أمية على هؤلاء الثُّوَّار رداً على الصَّاع بصاعين كلّما شعروا بأنَّ دولتهم تتعرض للخطر إلا واستطاعوا بذلك كبح كلِّ من ثار ضدَّ دولتهم وأنظمتها السِّياسية والاجتماعية[1].

وحين ظفرت الثَّورة العبَّاسية بالبيت الأموي بعد أن كان ما كان، و"الّذي كانت نفوس الرَّعية تمتلئ سخطاً وحفيظة عليه لما أذاقهم من الظُّلم، ولما حرمهم من الإنصاف والعدل الاجتماعي ولما ازدرى من الحق والواجب، كما رأى العبَّاسيون أن يتخذوا من العراق موئلا لخلافتهم، فعلا نجمه، بينما هوى نجم الشَّام إذ أصبح ولاية تابعة له بعد أن كان يتبعها، واتخذ السَّفاح الهاشمية مقر الدَّولة ولم يلبث أبو جعفر المنصور أن اختار قرية صغيرة على الضِّفة الغربية لدجلة لتكون حاضرة الخلافة هي بغداد"[2].

[1]- ينظر: شوقي ضيف، العصر العبَّاسي الأوَّل، دار المعارف، القاهرة، ط6، د.ت، ص10.

[2] - المرجع نفسه، ص15.

وبعد أن تحوَّل مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد كان من الطَّبيعي أن تتغير نظم السِّياسة والإدارة في هذه الدولة الجديدة حيث كان قيامها "إيذاناً بغلبة الطَّوابع الفارسية على نظم الحكم السِّياسية والإدارية للدَّولة العبَّاسية، فقد قامت في المجال الفارسي وعاشت تتنفس فيه "[1].

إذ أنَّ جلّ الدَّارسين والباحثين قد رأوا بهذا الرَّأي الّذي يقضي بخضوع الدَّولة العبَّاسية للنُّفوذ الفارسي ومنهم شوقي ضيف الذي سبق نقل كلامه.

غير أن الأديب هدّارة قد خالف هذا الرَّأي، ورأى أنَّ الدولة العبّاسية في بداياتها قد حافظت على عروبتها وتعصبت لها حيث يقول في سياق هذا الحديث:

"والواقع أنَّ أغلبية الدَّارسين قد توهموا تضامن الخلافة العباسية منذ نشأتها للنُّفوذ الفارسي، والتَّخلي عن عروبتها بسبب ما لاحظوه من أخذ العبَّاسيين بنظم الفرس وحضارتهم، وبسبب قيام الدَّولة على أكتافهم وسواعدهم، ولكن الحقيقة التَّاريخية تغاير ذلك، فالخلفاء العبَّاسيون الأولون لم يتخلّوا قط عن عصبيتهم للعروبة، وإن كانت بحكم التَّطور الاجتماعي والسِّياسي الّذي حدث في هذا العصر قد خفت حدتها كثيراً عن ذي قبل.

وممَّا يؤكد بقاء آثار العصبية العربية في نفوس الخلفاء العبَّاسيين الأولين ما رواه الطبري من أن المنصور سأل خادماً له في يوم من الأيام "ما جنسك ؟قال: عربي يا أمير المؤمنين.قال: ومن أي العرب أنت؟ قال: من خولان سبيت من اليمن فأخذني عدوٌ لنا فحبسني فاسترققت، قال: أما إنَّك نعم الغلام ولكن لا يدخل قصري عربي يخدم حرمي، اخرج عفاك الله "[2].

[1]– شوقي ضيف، العصر العبَّاسي الأوَّل، مرجع سابق، ص19.

[2]– محمَّد مصطفى هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري،مرجع سابق، ص45.

وقد انتقلت في هذا العصر جلُّ النُّظم الفارسية بحذافرها في كلّ شؤون الحكم "وكأنَّما أصبح الخليفة العبَّاسي ملكاً ساسانيًا، فهو يحكم حكماً مطلقاً، وهو حكم ينتقل بالوراثة ويطبعه الدِّين كما كان يطبع الحكم السَّاساني، إذ كان السَّاسانيون يعدّون أنفسهم رؤساء للدِّين وحماة له وحرَّاساً"[1].

حيث أخذت العصبية العربية تتضاءل شيئاً فشيئاً أمام طغيان الأعاجم وتكاثرهم، حيث ظهرت طبقة جديدة حارت في انتمائها هل إلى العرب أم إلى العجم، وتجلى هذا الصِّراع طوال حكم العبَّاسيين بين الفريقين، كما يجب أن نشير إلى أنَّ العبَّاسيين الأولين كما رأى محمَّد هدَّارة "كانوا أصحاب بطش وقوة فإنَّهم مع اتكالهم على الفرس لم يستسلموا لهم، بل أبقوا للخلافة العربية جلالها يدلك على ذلك ما فعله المنصور بأبي مسلم حين خشي طغيانه، وكذلك ما فعله الرَّشيد بالبرامكة حين أخذته الغيرة من تعاظمهم وأبهة دولتهم، والمعتصم بالأفشين لطمعه أو لأنَّه على ما قيل كاتب بعض أمراء العجم ونقل الملك إليهم بل كانت سياستهم حفظ التَّوازن بين المضرية واليمنية والخراسانية منعاً لاستبداد فريق منهم بالدَّولة، وكانت جيوشهم مؤلفة من عرب وفرس "[2].

ولقد كانت مملكة العبَّاسيين "تمتدّ من شواطئ المحيط الأطلسي إلى حدود الهند والصِّين، وكان نفوذ العبَّاسيين بالغاً غايته في العالم المعروف آنذاك، يذكر اسمه في بيزنطة أو روما أو الصِّين فترتعد الفرائص وتخفق القلوب وتنحني الهامات، وتسير الجيوش المنصورة في كلِّ مكان، وترتفع راياتهم في كلِّ أفق، حيث يستظلُّ بظلِّها الملايين العديدة من سكان الدُّنيا، ويدينون لها بالولاء والوفاء...وكان لخلفاء بني العبَّاس ولاة في كلّ إقليم، وحكام في كلِّ قطر، ينشرون الأمن والعدل والنُّور والعلم ويجبون الأموال والضَّرائب باسم أمير المؤمنين وخليفة المسلمين "[3].

---

[1]- شوقي ضيف، العصر العبَّاسي الأوَّل،مرجع سابق، ص20.

[2]- أنيس المقدسي، أمراء الشِّعر العربي في العصر العبَّاسي، دار العلم للملايين، ط17، 1989، بيروت، لبنان، ص11.

[3]- محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأوَّل، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص3.

وهنا صدقت عليهم النَّظرية الماركسية حيث ارتفع شأن الآداب في هذا العصر وسارت حيث سارت الحضارة العبَّاسية واستقرت حيثما استقرت "في هذا العصر نبغت الفنون الإسلامية وازدهرت الآداب العربية وترجمت الثَّقافات الأجنبية، وقامت المدارس والجامعات في كلِّ مكان، تثقف العقول، وتهذب النُّفوس، وتحض على المعرفة، ويجلس في حلقاتها المسلمون على اختلاف عناصرهم، وألوانهم وبيئاتهم، وفيه عاش أئمة العلم والأدب والفكر يؤدون رسالتهم ويبنون لأمتهم مكانها الرَّفيع في عالم الفكر الإنساني، ويؤثرون للحضارة مجدها الزَّاهي، ويرفعون للفكر منارته السَّامقة "[1]، وهكذا كان الأدب مرآة عاكسةً لعصره على ما جاءت به النَّظرية الماركسية التِّي تقضي بأنَّ الأدب يتماشى مع ظروف الدَّولة في الازدهار والانحطاط معاً.

وقد رأى محمَّد هدارة أنَّ الانقلاب العبَّاسي لم يكن انقلابا سياسياً ولكنَّه تطورٌ عميق في العلاقات الدِّينية إذ يقول: "وسياسة العبَّاسيين هذه تدفعنا إلى التَّفكير في هذا التَّغير الذي طرأ على شكل الحكومة السِّياسية فالواقع إنَّ الانقلاب العبَّاسي لم يكن انقلاباً سياسياً فحسب وتغيير ملكٍ بملك، ولكنَّه كان أيضاً، تطوراً عميقاً في العلاقات الدِّينية، فبدلاً من الأمويين الذين حكم عليهم الأتقياء بأنَّهم أهل الدُّنيا، جاء العبَّاسيون الذين لم يقبلوا أن يكونوا ملوكاً، بل أرادوا أوَّلاً وبالذَّات أن يحسبوا أنَّهم أئمة، وأن تفهم حكومتهم على أنَّها حكومة دينية "[2].

كما رأى أنَّ هذا التَّحول الجديد "كان ضرورياً لاحتياج الدَّولة لاستخدام الدِّين والتَّأثير به على عقول الجماهير ولمجابهة الدَّولة العلوية التِّي كانت ترتكز في أساسها على الدِّين أيضًا"[3]، وقد كان للسِّياسة تأثير كبير في الشِّعر حيث ظهر صداه في الشِّعر السِّياسي وتعدى ظهوره إلى أكثر من اتجاه من اتجاهات الشِّعر في القرن الثَّاني.

---

[1]- محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأوَّل، ص4.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني،مرجع سابق، ص48.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

الظُّروف الاجتماعية:

لقد اختلف المجتمع العبَّاسي عن المجتمع الأموي وعن المجتمع الإسلامي الأوَّل الذي كان في عهد النَّبي ﷺ والخلفاء الرَّاشدين المهديين من بعده في تكوينه وتركيبه وثقافته وعاداته التّي وجدت في المجتمعات التّي سبقته حيث نشأ أولاد هذا المجتمع وأبناؤه في ظلِّ الدَّولة العبَّاسية "بكلِّ ما تميزت به من سلوك ثقافي وانفردت به من تحلّل اجتماعي جاء نتيجة لتغير المجتمع من عربي السُّلوك إلى فارسي السِّمات ومن إقليمي العادات أو بشكلٍ أدق من ريفي العادات إلى مدني المنزع والمسلك، ومن المسلّم به أنَّ المدينة بتزاحم سكانها وضعف الرَّابطة بينهم وكثرة الغرباء فيها والوافدين إليها تقبل من أسباب الانحراف ومظاهر التَّحلُّل ما يرفضه الرِّيف المستمسك بعاداته المترابط أفراده وجماعاته"[1]، وقد وصف مصطفى الشُّكعة هذا الّذي نقلناه بأنَّه "أوليات في الأحكام ومسلّمات في النَّتائج "[2].

فإذا ما أضفنا – في رأيه – إلى ذلك "إنشاء عاصمة جديدة تماما هي بغداد، في إقليم يختلف عن إقليم العاصمة السَّابقة ونعني بذلك العراق والشَّام، في نطاق ثقافة وعادات وافدة غريبة على العرب هي الثَّقافة والعادات الفارسية، تحت حكم سياسي مختلف هو الحكم العبَّاسي المسند إلى النُّفوذ الفارسي، كان ذلك كله منطلقاً لمجتمع جديد ذي عادات جديدة بعضها أصيل وبعضها الآخر ناشئ متخلّق، وأفكار جديدة أقلّها حسن مقبول وأكثرها سيئ مرذول "[3]، وبهذا انفرد المجتمع العبَّاسي وتميز عن سابقيه على جميع المستويات سواء الثَّقافية منها أو الخلقية وغيرها.

في انتشار هذه الأفكار الجديدة التِّي غالبها –كما أسلفنا – كان سيئاً مرذولاً كان من الطَّبيعي أن يتصدر موائد الشِّعر والأدب شعراء وأدباء يحملون هذه الأفكار والعادات المرذولة، فكان لهؤلاء الشُّعراء أن "أشاعوا الخمر ومجالس الخنا، وإعلان معاشرة الغلمان، والتَّطرف بإعلان الإلحاد

[1]– مصطفى الشُّكعة، الشِّعر والشُّعراء في العصر العبَّاسي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ص171.

[2]– المرجع نفسه، ص171.

[3]–المرجع نفسه، ص ن.

والسُّخرية من الدِّين، فضلاً عن نمو الشُّعوبية والحملة على العرب وتحقيرهم والفخر بالفرس والعصبية لهم "[1]فهؤلاء الشُّعراء والأدباء قد اختلفوا كلَّ الاختلاف عن أسلافهم الّذين سبقوهم والعامل الرَّئيس في ذلك أنَّهم كانوا أبناء بيئة جديدة اختلفت فيها الظُّروف والمعطيات السِّياسية والاجتماعية عن المألوف السَّابق والمعتاد.

وممَّا لاشكَّ فيه على ما رآه ناقدنا أنَّ العرب "لم يستطيعوا أن يتجنبوا المؤثرات الحضارية القوية التّي تسلطت عليهم من الحضارتين البيزنطية والفارسية، وكانتا أرقى حضارتين في العالم في ذلك الوقت، وكانت تحرج العرب من الخضوع لهذه المؤثرات شديداً في بدء اتصالهم بها"[2].

وقد شهدت الحياة الاجتماعية في هذا القرن حركة مضادَّة لحركة المجون والزَّندقة تمثلت في تيار الزُّهد الذي تحول وتطور فيما بعد إلى تصوف، وكأنَّ القرن الثَّاني "قد شهد تيارين متضادين، كل منهما يمضي إلى غايته: تيار الزُّهد وتيار المجون"[3]، وعلى هذا فإنَّنا نجد الشِّعر العربي في هذا القرن خير مصور لهذين الاتجاهين اللَّذان كان لهما صدى كبير في الحياة الاجتماعية.

الظُّروف الثَّقافية:

لقد كان للإسلام أثر كبير في انتشار اللُّغة العربية في الأقطار المفتوحة ذلك لارتباطها به كدين في ذاته وكدعوة انتشرت في المجتمعات الجديدة انتشار النُّور في الظَّلام، ومن هنا بدأ الصِّراع بين اللُّغة العربية وبين اللُّغات المحلية في الأقطار المفتوحة، وقد كانت نهاية هذا الصِّراع لصالح اللُّغة العربية بدليل انتشارها في الأقطار المفتوحة إذ "ليس معنى هذا الانتصار القضاء على اللُّغات المحلية قضاءً تاماً

[1]- مصطفى الشُّكعة، الشِّعر والشُّعراء في العصر العبَّاسي، مرجع سابق، ص172.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني،مرجع سابق، ص55.

[3]- المرجع نفسه، ص77.

في يومٍ وليلة، ولكن الذي حدث بالضَّبط أنَّ العربية اصطدمت بهذه اللُّغات فأخذت تقضي عليها شيئاً فشيئاً، ولكن بعد أن استوعبت ما تريد من هذه اللُّغات لتجدِّد شبابها وحيويتها"[1].

إذ أنَّ التقاء اللُّغة العربية باللُّغة الفارسية فيما يرى هدَّارة "أدى إلى ظهور أسلوب عربي مولد منذ الثُّلث الأخير من القرن الأوَّل الهجري، له خصائص ومميزات يفترق بها عن أسلوب اللُّغة العربية الأصيلة التّي جاء بها العرب المهاجرون إلى البلاد المفتوحة"[2]، ولا نجازف إن قلنا أنَّ تأثير الفرس في الحضارة العربية تعدى الجانب اللُّغوي إلى جوانب فكرية أخرى قد تكون أعمق ولكنَّها أخفى وأدق إذ أنَّ الحضارة العربية قد "اقتبست نظمها من النُّظم الفارسية"[3].

أما في تأثير الأدب الفارسي في الأدب العربي ففيه خلاف بين أهل الأدب والنَّقد فطه حسين يذهب إلى أنه لا يوجد تأثير من الأدب الفارسي على العربي و" يتساءل أين الكتب الفارسية الكثيرة التِّي ترجمت إلى العربية، وأين الشِّعر الفارسي الذي ترجم وأثّر في الشِّعر العربِي ؟...وهي تنحصر في كتاب كليلة ودمنة وكتاب الأدب الكبير، وكتاب الأدب الصَّغير والحكم الذي يشتمل عليها شعر بعض الشُّعراء "[4]، ويذهب إلى رأيه كثير من الباحثين نذكر منهم عبد العزيز الدوري ونجيب البهبيتي وغيرهم.

أما محمَّد هدّارة فيرى أنَّ الثَّقافة الفارسية كان لها تأثير كبير في الثَّقافة العربية منذ القرن الأول الهجري "فطرق الغناء والآلات الموسيقية نفسها بأنواعها المختلفة كلّها في الغالب كانت فارسية و...أنَّ

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني،مرجع سابق، ص79.

[2]- المرجع نفسه، ص82.

[3]- المرجع نفسه، ص87.

[4]- المرجع نفسه، ص87.

ابن سريج كان يغني في مكة أيام عثمان، وكان عوده على صنعة عيدان الفرس وهو أوَّل من ضرب به على الغناء العربي بمكة "[1].

وقد سجَّل محمَّد هدَّارة نقطة أخرى من تأثير الفارسية في الثَّقافة العربية وهي ناحية العقائد والإيديولوجيات المختلفة التّي شاعت في القرن الثَّاني وشاعت بين العرب حيث يقول: "لا نستطيع أن ننكر أنَّ هذه المذاهب والعقائد المختلفة كانت جزءاً هاماً من تكوين الثَّقافة العربية في ذلك العصر، كما لا نستطيع أن ننكر أنَّ أغلب هذه المذاهب كان يرجع أصله إلى الفرس، كالثَّنوية مثلاً وهم أربع فرق المانوية الذين يقولون إنَّ للعالم أصلين: نور وظلمة وهما قديمان، والدِّيصانية وهم يقولون بالنُّور والظُّلمة أيضاً ولكن الفرق بينهم وبين المانوية أنَّ المانوية ينسبون الحياة إلى النُّور والظُّلمة، أمَّا الديصانية فيقولون إنَّ النُّور حيٌّ والظُّلمة ميتة، والفرقة الثَّالثة هي المرقونية الذين يثبتون متوسطًا بين النُّور والظُّلمة ويسمون ذلك المتوسط المعدل، والفرقة الرَّابعة هي المزدكية أتباع مزدك الذي أظهر دين الإباحة "[2].

وبالإضافة إلى تأثير الثَّقافة الفارسية في فرق أخرى غير الثنوية كالشِّيعة الّذين نادوا بفكرة المهدي المنتظر وقد وصف هدَّارة هذه الفكرة بأنَّها "فكرة فارسية أصلاً ولدت في أثناء ثورة المختار التّي كانت في أساسها ثورة موال إذ ذهب أنَّ محمَّد بن الحنفية لم يمت ولكنَّه اعتزل الدُّنيا متخفيًا في الجبال المحيطة بمكة "[3]، وإن كان بعض المفكرين يرون أنَّ هذه الفكرة ولدت بتأثير اليهود والمسيحيين، وأنَّ هذه الفكرة تكاد تكون عالمية إذ آمن بها بعض الهندوس والمغول والصينيون وأهل بيرو وغيرهم.

كما تعد الثَّقافة اليونانية من أكثر الثَّقافات التّي كان لها تأثير في الحضارة الفارسية بعد الفارسية مباشرة، حيث "كان من نتيجة دخول المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية محيط الثَّقافة العربية عن طريق متكلِّمي النَّصارى وغيرهم ظهور فرق إسلامية متأثرة في منهجها وفي برامجها بهذا المنطق وبهذه

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص89.

[2]- المرجع نفسه، ص94.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

الفلسفة"[1] ولعلَّ من أبرز هذه الفرق المرجئة والقدرية اللّتان تعتبران من أقدم الفرق الكلامية بالإضافة إلى المعتزلة التّي كانت امتداداً للقدرية في عقائدها وأفكارها وهذا على خلاف بين النُّقاد والمفكرين حيث يرى هدّارة أنَّ المعتزلة نشأت بتأثير الفلسفة اليونانية إذ يقول: "والحقيقة إنَّ حركة الاعتزال – سواءٌ أكانت امتداداً للمرجئة أم القدرية – نشأت بتأثير الفلسفة اليونانية، وكان لها أثر عميق في الحياة الأدبية في القرن الثَّاني حتَّى إنَّنا نجد بعض الشُّعراء يشاركون فيها ويتأثرون بها في شعرهم تأثرا قوياً "[2].

وفيما عدا الثَّقافتين الفارسية واليونانية نجد الثَّقافة الهندية تلعب بدورها إحدى المؤثرات في الثَّقافة العربية في القرن الثَّاني حيث كان لترجمة كتب الثَّقافة الهندية التي اشتملت على كتب الرياضيات والأدب والإلهيات، وقد تسربت هذه الثَّقافة إلى الفكر العربي عن طريق البصرة بالعراق حيث كانت هذه الأخيرة بوابة التَّواصل مع الهند عن طريق التِّجارة، ثمَّ كان لفتح بلاد السِّند أثرٌ كبير في انتقال وتسرب الثَّقافة الهندية إلى الفكر العربي حيث كانت بلاد السِّند " منفذا جديداً لتسرب الثَّقافة الهندية إلى الفكر العربي إذ أصبح الجيل السِّندي عنصراً من العناصر التّي يتكون منها المجتمع الإسلامي، وبدأ الموالي والرَّقيق من السِّند الذّين انتشروا في أنحاء المملكة الإسلامية ينقلون ثقافة وطنهم الأصلي"[3].

ولعل أبرز مظهر لتأثر الثَّقافة العربية بنظيرتها الهندية هو نشوء الشِّعر التَّعليمي "إذا علمنا أنَّ الهنود ولعوا بهذا النَّوع من النَّظم حتَّى إنَّهم نظموا قواعد الرياضة والفلك، وربما تأثر شعراء القرن الثَّاني بطريقة هذا النَّوع من النَّظم فأقبلوا يصوغون العلوم المترجمة وغيرها في شعر عربي ظهر لأوَّل مرة في هذا القرن"[4].

---

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص97.

[2]- المرجع نفسه، ص98.

[3]- المرجع نفسه، ص100.

[4]- المرجع نفسه ، ص ن.

من خلال الإشارات التّي سبقت إلى تأثر الثَّقافة العربية بمختلف الثَّقافات الأجنبية يمكننا القول أنَّ القرن الثَّاني قد شهد حركة ثقافية واسعة تمثلت في التهام الثَّقافة العربية لما سبقها من منجزات الثَّقافات الأخرى التّي سبقتها إلَّا أنَّها مع ذلك كانت تتخيَّر ما تحتاجه من هذه الثَّقافات تخيراً دقيقا يمكنها أن تتميَّز به عن غيرها من الثَّقافات.

وبهذا أصبحت الثَّقافة العربية" ثقافة عالمية بكلِّ ما في هذا التَّعبير من معانٍ حيث أنها لم تصبح ملكاً للعرب وحدهم ولا للفرس ولا لليونان أو الهنود أو السِّريان ولكنَّها أصبحت ملكا لشعوب العالم في ذلك الوقت "[1]،وهذا ما يدلُّ على أنَّ العرب قد تمثَّلوا هذه الثَّقافات وتحويرها في غالب الأحيان وتوجيهها بما يساعدها لعقليتها العربية وثقافتها الإسلامية.

الظُّروف الاقتصادية:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ اقتصاد أيَّ دولة يكون له تأثير عميق في جميع نواحي الحياة في هذه الدَّولة، فتطور الدّول يقاس دائما بما وصلت إليه حالتها الاقتصادية، فلا غرابة إذن، إذا قلنا إنَّ الأدب قد يتأثر بهذا التقدم الإقتصادي أو تطوره.

فمنذ تولى العبَّاسيون حكم الدَّولة العبَّاسية قبل منتصف القرن الثَّاني تغيرت الأوضاع الإقتصادية عمَّا كانت عليه أيام الدَّولة الأموية، فقد ازدهرت التِّجارة في عهدهم ازدهاراً لم تشهده من قبل، والسَّبب في ذلك في رأي هدَّارة يعود إلى الاستقرار النِّسبي الذي تميَّز به العصر العبَّاسي، وتوقف حركة الفتوح، إذ اجتمعت في العراق صنوف التِّجارة وامتدت علائقها الاقتصادية شرقاً إلى الهند والصِّين وغرباً على أقصى بلاد المغرب وجنوب الحبشة، ومع ازدهار التِّجارة كثرت الضَّرائب وتنوعت تنوعا كبيراً.

[1]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص102.

وعلى الرغم من كل ذلك إلا أنَّنا لم نسمع تذمراً بين النَّاس من ثقل الضَّرائب والسَّبب في ذلك أنَّها تتناسب مع الرُّقي الاقتصادي الذي بلغته الدَّولة في شتَّى المرافق، فمن الضَّرائب الجديدة التِّي فرضها العبَّاسيون أعشار السُّفن وأخماس المعادن والمراصد، وغلة دار الضَّرب، والملاحات والأسماك والمستغلات، ومن تنوع هذه الضَّرائب ندرك أنَّ الدَّولة العبَّاسية لم توجه عنايتها إلى التِّجارة والزِّراعة فحسب، ولكنَّها وجهت عناية كبيرة إلى الصِّناعة، ويمكن أن نعد صناعة الورق من أهم الصِّناعات التِّي أنشأها العبَّاسيون والتي كان لها أهمية كبيرة في الحياة الثَّقافية وتقدم الحركة العلمية[1].

[1] – ينظر: محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص115-117.

المبحث الثَّالث: المنهج المتَّبع في الكتاب

إنَّ قراءة محمَّد هدَّارة لاتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني كغيرها من القراءات والمؤلفات التّي تناولت الأدب العربي القديم فهي كغيرها من القراءات تخضع وتعتمد على منهج معين في استقراء النصوص وإصدار الأحكام في النَّقد والتَّحليل ومن خلال قراءتنا لهذا المنجز تبيَّن لنا أنَّ المؤلف قد اعتمد على المنهج التَّاريخي الذي كان سائدًا في الفترة التّي كتب فيها هذا المنجز.

وحيث نجد أن هدَّارة قد خضع لتطورات الحضارة كغيره من المؤلفين والنُّقاد والكتّاب، حيث يعتبر هذا المنهج حسب ما قاله صاحب كتاب مناهج النَّقد الأدبي يوسف وغليسي: "الصّرح النّقدي الرّاسخ الذي واجه أعتى المناهج النّقدية الحديثة المتلاحقة التي انبثقت خصما على المنهج التّاريخي، وكلها قد استمدت بصيغة من الصيغ قانونها الأساسي من الاعتراض عليه أو مناقضته جذريا"[1].

ويعرف يوسف وغليسي المنهج التاريخي على أنّه: "المنهج الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التّاريخ الأدبي لأمة ما ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون"[2]، لمجموعة من الأسباب، "فالنّص ثمرة لصاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التّاريخ، فإذا النّقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"[3] أو تتبع تطور جنس أدبي في محصلة أمّة ما.

بعد تقديم المفهوم العام للمنهج التاريخي في النّقد يردف يوسف وغليسي بمجموع أعلامه كهيبوليت تين H.Taine" (1828-1893م)، متحدثا عن ثلاثيته الشّهيرة في دراسته للأدب العرق والوسط والعصر، ويواصل حديثه عن أعلام هذا المنهج وعن الأفكار النّقدية لكل واحد منهم، ثم

[1]- يوسف وغليسي، مناهج النَّقد الأدبي (ومناهجها وأسسها تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية)، جسور للنَّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 15 وما بعدها، 2007.

[2]- المرجع نفسه، ص. ن.

[3]- المرجع نفسه ص. ن.

يرصد صاحب الكتاب البعد التاريخي لانتقال هذا المنهج إلى العالم العربي وذلك في الربع الأول من القرن العشرين على يد نُقّاد عرب تتلمذوا على رموز المدرسة الفرنسية يتزعمهم مُحَمَّد مندور (1907-1965م) الذي "يمكن عده الجسر التَّاريخي المباشر بين النّقدين الفرنسي والعربي؛ فهو أول من أرسى معالم اللّانسونية في نقدنا العربي، حين اصدر كتابه النّقد المنهجي عند العرب"[1].

ثم نجد أنه بنفس الطَّريقة التي سلسل بها طرحه للمنهج السّابق، عدد يوسف وغليسي أسماء كثيرة لأعلام هذا المنهج في النّقد العربي كشوقي ضيف، وشكري فيصل ومُحَمَّد صالح الجابري وأبو القاسم سعد الله، ويقول أنّ ازدهار النّقد التاريخي في العالم العربي كان في الستينات على يد أشهر الأكاديميين العرب الذين تحولت أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية يقتفى أثارها المنهجية طلبتهم، ويتوارثونها طالبا عن أستاذ، واختتم حديثه بمجموعة أسس هذا المنهج كالربط الآلي بين النّص الأدبي ومحيطه السِّياقي، واعتبار الأول وثيقة للثاني والاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي والمبالغة في التعميم والاستقراء النّاقص.[2]

وقد تظهر ملامح هذا المنهج في قراءة هدارة من خلال أوَّل عتبة في كتابه وهي العنوان حيث صاغه على الشَّكل التَّالي "اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني" وتحديد العصر هو إحدى ملامح المنهج التَّاريخي الذي يهتم بالظاهرة الأدبية في مراحلها التَّاريخية المختلفة، وقد حدّدها هدَّارة بالقرن الثَّاني والظاهرة الأدبية التّي تناولها هدَّارة هي الشِّعر العربي واتجاهاته في هذا القرن، فإذا توغلنا في هذا الكتاب، وتفحصنا مكنوناته نجد المنهج التَّاريخي جلياً في اهتمام هدَّارة بتتبع تطور مختلف الظَّواهر الأدبية المتعلقة بالشّعر العربي سواء كانت هذه الظَّواهر مؤثرات أثرت في تطور هذا الشِّعر كالزَّندقة والشُّعوبية، أو تطور أغراض الشِّعر نفسها كتطور المديح والهجاء أو ظهور أغراض جديدة للشِّعر العربي كالغزل الماجن – الصَّريح– في هذا الفترة من تاريخ الشِّعر العربي.

[1]- يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 18 .

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص19-20.

الفصل الثالث

أهم القضايا

الكبرى في الكتاب

المبحث الأوَّل: تطور أغراض الشِّعر من العصر الجاهلي إلى القرن الثَّاني الهجري

إنَّ الحديث عن تطور الحياة الفكرية والثَّقافية في المجتمع العربي والإسلامي في القرن الثَّاني لا يعني انقطاع الصِّلة بين الحياة الفكرية الرَّاهنة والحياة الفكرية القديمة سواء كانت جاهلية أو إسلامية أو أموية، مع العلم أنَّ الزَّمن بين هذه العصور غير بعيد فهو لا يتعدَّى قرنين من الزَّمن، ومن هنا يمكن أن نقول أنّ الشِّعر العربي حافظ على أهم أغراضه القديمة في هذا القرن وإن كان قد طرأ على بعضها نوع من التَّحوير والتَّبديل تفرضها طبيعة العصر ومتطلَّبات الحياة الثَّقافية فيه، فبعض هذه الأغراض قد دخلته اتجاهات جديدة لم تكن موجودة من قبل، وبعضها الآخر اتسع أفقه، وقد أدرك هدارة في كتابه هذا التَّغير فحاول أن يعرض هذه الأغراض بنوع من التَّحليل العميق والنِّقاش المستفيض مبينًا العوامل التّي جعلت هذه الأغراض تبقى على حالها أو تتغير في بعض اتجاهاتها وذكر منها مايلي:

المدح والشِّعر السِّياسي:

وفقاً لما جاء في معجم النَّقد العربي القديم لأحمد مطلوب "المدح:نقيض الهجاء وهو أحد أغراض الشِّعر "[1]، وقد مرَّ هذا الغرض من الشِّعر بمراحل جعلته يتحور ويتبدل من عصر إلى عصر بسبب ظروف كلِّ عصر وطبيعته وقد بيَّن محمَّد هدَّارة هذا في كتابه كما سيأتي:

لقد كان نظم الشِّعر في المديح في الجاهلية بدافع الإعجاب بالفضائل المتعارف عليها فكان همّ الشَّاعر أن يرفع من شأن قبيلته وحلفائها والتَّغني بالكرم وحسن الضِّيافة والبطولة والشَّرف والعرض وصحة النَّسب، وقد أصبح هذا الغرض من الشِّعر صناعة متداولة بين الشُّعراء عند الملوك والزُّعماء ورؤساء القبائل، وقد أدرك هؤلاء أثر الشِّعر في تحقيق أهدافهم فقربوهم وأغدقوا عليهم الأموال، بحيث أصبح هؤلاء الشُّعراء أهم وسيلة للدِّعاية في ذلك العصر.

ومع ذلك فقد "كان في شعر المديح الجاهلي مجموعة من الفضائل الإنسانية التّي لا تجري عليها أحكام التَّغيير والتَّعديل وقد أحصاها قدامة بن جعفر فوجد أنَّها تنحصر في أربع فضائل هي:

[1]– أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم ،ج2، دار الشُّؤون الثَّقافية العامة، بغداد، 1989، ص228.

العقل والعفة والعدل والشَّجاعة...وهذه الفضائل استمرت من غير شك في شعر المديح العربي في العصور المختلفة، ولكن دخلتها تفريعات كثيرة، وزيادات متنوعة منذ ظهور الإسلام بل قبل ظهوره"[1].

ولما انتشر الإسلام وانبسط وتحضر المجتمع العربي بفضله "واستأصلت الفتن أهل الطَّبع الشِّعري من العرب، انفرد بالشِّعر جماعة هم الذين اتصلوا بدولة الذَّهب (الأمويين) فاستقلت طريقة المديح من يومئذ وأطاله الشُّعراء "[2]، وقد اعتبر هدَّارة تلك المعاني التّي اختص الإسلام بظهورها أوَّل تطور موضوعي يدخل في شعر المديح إذ يقول: "وممَّا لا شك فيه أنَّ المعاني الإسلامية كانت أوَّل تطور موضوعي يدخل شعر المديح منذ القرن الأوَّل الهجري، وقد لوحظ وجود هذه المعاني في قصائد شعراء الرَّسول مثل حسان بن ثابت وغيره، ثمَّ كثر ظهورها في قصائد الشُّعراء الذين مدحوا بني أمية وبخاصة الخليفة عمر بن عبد العزيز، ذلك أن تقواه وعدله وزهده قد جعلت الشُّعراء يستشيرون معاني كلّ الفضائل الإنسانية في مدحه، يرجون بذلك الوفاء بنفوسهم من تقدير وإكبار له، أكثر ممَّا يودون عطاءه ونواله، لعلمه أنَّ ذلك الجانب المادي لا يتفق مع نهجه في الحياة وسبيله في الحكم"[3].

وقد اهتم شعر المديح بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامه بالفضائل الحسِّية وازداد هذا الميل "إلى النَّاحية المعنوية مع اتساع آفاق الثَّقافة وانتشار العلوم الفلسفية وما إليها وكان أظهر ما يكون ذلك في القرن الثَّاني "[4]، وقد بيَّن هدَّارة أنَّ هذا لا ينفي أنَّ شعر المديح في هذا القرن لم يتضمن الأوصاف الحسِّية إذ يقول: "وإن كنَّا لا ننفي أنَّ شعر المديح في هذا القرن كان يتضمن أيضاً بعض الأوصاف الحسِّية إلا أنَّها لم تكن تقصد لذاتها، بل كانت مقترنةً في الغالب بمعانٍ دينية ترمي إليها"[5].

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص369.

[2]- مصطفى صادق الرَّافعي، تاريخ آداب العرب،ج2، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص88.

[3]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص370.

[4]- المرجع نفسه، ص371.

[5]- المرجع نفسه، ص ن.

فالعلامات الحسية دليل على العلامات المعنوية فائتلاف الوجه دليل على التُّقى والورع وصفاء السَّريرة، والبسطة في الجسم يقصد بها المهابة وما إلى ذلك من الأوصاف على ما ذكره هدَّارة.

هذه إذن بعض مظاهر تطور المديح بصفة عامة بعد ظهور الإسلام وغير ذلك من التَّطورات الأخرى التِّي لم يأت على ذكرها هدارة، فبعضها يدخل في موضوع المدح نفسه وبعضها الآخر يتصل بشكل قصيدة المدح.

أمَّا بالنِّسبة للنَّاحية الشَّكلية فقد كان التَّغير ظاهرا في مقدمات القصائد "فبدلاً من افتتاح هذه القصائد بالبكاء على الأطلال والنَّسيب التَّقليدي بدأ الشُّعراء يفتتحون هذه القصائد بوصف الخمر والتَّعبير عن إقبالهم على ملذَّات الحياة...وقد كانوا يستغلون مقدّمات هذه القصائد في إظهار مشاعرهم الذَّاتية والتَّعبير وأقلها في المدح، وهذا الاتجاه بوجه عام يتضح لنا في أغلب القصائد الجديدة التّي خرج فيها أصحابها عن النَّهج القديم للقصيدة العربية "[1].

وقد تميزت قصيدة المديح في القرن الثَّاني بـ"غلو بعض الشُّعراء في مديحهم "[2]، وقد بيَّن هدَّارة أن الخلفاء كانوا يشجعون على هذا الغلو ويُنقل عن أبي الفرج الأصفهاني هذه الرِّواية "كان هارون الرَّشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده "[3].

كما ظهر في القرن الثَّاني نوع جديد من المديح لم يكن معهوداً من قبل وهو مدح المدن "وكان أكثر هذا النوع من المديح يدور حول الكوفة أو البصرة أو بغداد باعتبارها المراكز الرَّئيسية للحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية النَّشطة"[4]، حيث بلغ مدح بعض هذه المدن إلى حدّ التعصب لها والإفاضة في تعداد محاسنها ونواحي جمالها.

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص372.

[2]- المرجع نفسه، ص 374.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

[4]- المرجع نفسه، ص375.

وقد ارتبط المدح في القرن الثَّاني بالصِّراع الحزبي والمذهبي حيث أخذ كلّ شاعر يمدح حزبه المنتمي إليه، والذي يناصره حيث نجد مجموعة تمدح الخليفة ومجموعة ثانية تمدح وتختص بالبرامكة ومجموعة ثالثة تختص بالعلويين أو الأمويين إلى غير ذلك من الأحزاب السِّياسية القائمة في هذا القرن.

وقد انتقل بعض الشُّعراء بين هاته الأحزاب السِّياسية "إمَّا بدافع الحصول على المال من أي سبيل، وإما لتغطية موقفهم السِّياسي والحزبي، ومداراة أمرهم أمام الدَّولة "[1].

كما اقترن هذا اللون من الشِّعر جانبا من الفخر والهجاء أيضاً حيث لم يكن للشِّعر السِّياسي تلك المكانة التّي احتلها في عهد بني أمية بالذَّات.

[1]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص377.

الهجاء:

وفقاً لما ذكره ابن منظور في لسان العرب "هجاه يهجو هجواً أو هجاء: شتمه بالشِّعر، وهو خلاف المدح، والمهاجاة بين الشَّاعرين يتهاجيان، وهاجيته:هجوته، وهجاني، وهم يتهاجون: يهجو بعضهم بعضاً "[1]وعرّفه أحمد مطلوب في معجم النَّقد العربي القديم على أنَّه "سلب الصِّفات المستحسنة التّي تختصها النَّفس واثبات الصِّفات المستهجنة التّي تختصها"[2]، وقد مرَّ هذا الغرض أيضا بتطورات جعلته يتميز بها من عصر إلى عصر لتغير الأسباب الدَّافعة إليه وتطور الذَّوق العام من عصر إلى عصر، فما يراه أهل عصر هجاء موجعًا قد يمر به عصر آخر دون أن يأبه بما فيه.

كان الهجاء في الجاهلية أشد ارتباطا بروح الصَّحراء العربية التّي كانت تقوم على التَّنافس والحروب بين القبائل ،وكانت المعاني في قصيدة الهجاء لم تكن مقذعة مقارنة بالقرون التّي جاءت فيما بعد، أمَّا بعد ظهور الإسلام تغيرت العقلية العربية في ثقافتها وتفكيرها حيث أنها كانت تعتبر فن الهجاء "إثما كبيراً لا يجوز أن يجري به لسان شاعر "[3].

بحيث تعتبر رواية سجن عمر بن الخطاب للحطيئة بسبب هجائه للزبرقان من أشهر الحوادث التّي ترويها كتب الأدب والدَّالة على اعتبار الهجاء إثمًا تعاقب عليه الشَّريعة الإسلامية.

أمَّا في العصر الأموي فقد كانت النَّقائض من أبلغ الصُّور التّي تجلّى فيها الهجاء "فالنقائض إذن عبارة عن هجاء دائم مستمر، وعبارة عن احتراف لفن الهجاء، وهذا لم يكن يراد بها الجد كما كان شأن الهجاء في الجاهلية، ولكن يراد بها اللَّهو والإضحاك، والنَّقائض بعد هذا كلّه مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية واجتماعية في العصر الأموي أكثر من كونها أهاجي بالمعنى القديم المعروف في الجاهلية "[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (هجا)، مرجع سابق، ص58.

[2]- أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، مرجع سابق، ص420.

[3]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص419.

[4]- المرجع نفسه، ص 419.

فالنِّزاعات القبلية كانت هي الدَّافع الرَّئيس لفن النَّقائض، أمَّا في القرن الثَّاني الهجري لم يعد لفن النَّقائض قائمة لانتهاء الدَّوافع الاجتماعية والعقلية التّي كانت تدعوا إليه.

وقد رأى هدَّارة أنَّ شعر الهجاء في القرن الثَّاني اقتصر على المقطوعات القصيرة التّي قد لا تتجاوز البيتين "لأنَّ طبيعة الحياة... دعت إلى عدم الإطالة في القصائد عموماً "[1]، أما إذا أردنا أن نتطرق إلى جميع مظاهر الهجاء التّي عرفها العصر العباسي الأوَّل أو بالأحرى القرن الثَّاني للهجرة فلا يسعنا ذلك، وإنَّما سنكتفي بالتَّركيز على ضرب جديد في الهجاء هو ذلك الرَّسم الكاريكاتوري الضاحك السَّاخر الذي أصبح هواية وميزة تكاد لا تغادر كثيراً من شعراء العصر العبَّاسي تكون أحياناً طلباً للّهو والمزاح وأخرى تكون ناتجة عن رفض للواقع ونقد لمظاهر الفساد، وثالثة عن حقد دفين ولعناتٍ كامنة بل إنَّنا أصبحنا نجد في العصر العبَّاسي ميلاً عاماً إلى الفكاهة والتَّندر والرَّغبة في إضحاك الآخر وإشراكه في الأمر، وعرف العصر العبَّاسي قفزة واسعة في الوصف الكاريكاتوري بعيداً عن التَّعقيدات الحضارية وزخرفها وربَّما عددنا بشَّار بن برد من أوائل المؤسسين لهذا الاتجاه [2].

وقد رأى هدَّارة أنَّ هذا الهجاء قائم "على التَّصوير لا على اللّفظ، وعلى التَّجسيم والتَّشخيص والمقارنة لا السَّب والشَّتم والمهاترة وأنَّه يبتعد كثيراً عن النَّوع الآخر من الهجاء الذي يتضمن أنواعاً فاحشة من الاتهامات والقذف، كما يبتعد أيضًا عن الهجاء الشعبي"[3]، وقد يعتمد الهجاء الكاريكاتوري على ما رآه هدَّارة على "صور لفظية وتلاعبٍ بحروف اللّغة، وهذا النَّوع ربما أثر تأثيراً كبيراً في شعر العصور المتأخرة التّي كانت تعتمد على الأحاجي والألغاز"[4]. ومن ذلك الهجاء الساخر قول ابن أبي عيينة في علي بن مُحَمَّد بن جعفر:

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص421.

[2]- ينظر:إيليا حاوي ، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثَّقافة،ط1، لبنان، 1998، ص439.

[3]- محمّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص434.

[4]- المرجع نفسه، ص436.

أعلي إنّك جـاهلٌ مغـرورُ لا ظلمةَ لك لا ولا لك نورُ

فدع الوعيدَ فَما وَعيدكَ ضائري أطنينُ أجنحة الذباب يضيرُ

وبهذا الذي أشرنا إليه يمكن اعتبار هذا النَّوع من الهجاء من أهم الاتجاهات الجديدة الّذي ظهرت في فن الهجاء بالإضافة إلى هجاء المدن الذي يقابل ما أشرنا إليه في مدحها كهجاء أبي نواس للبصرة وهجاء ابن أبي الزَّوائد لبغداد حين زارها.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الهجاء كثيرة نقدم منها هجاء أبي نواس للبصرة–رغم أنه نشأ فيها– في قوله:

أيا ما كنت بالبصرة ما أصفى لهم ودا

ومن كانوا مواليَّ ومن كنتُ لهم عبدا

وَمن قد كنت أرعاه وإن ملّ وإن صدا

بالإضافة إلى ذلك نجد الهجاء بالزّندقة والفجور الذي كان نتيجة إيمانهم بمذهب معين "فهؤلاء الشُّعراء الهجّاءون...استمعوا في الكوفة إلى قوم من الرَّافضة عرفوا بالسَّبابين كانوا ينهشون أعراض الصّحابة"[1]، فجعلت هذه الفرقة السَّب والشَّتم والنيل من الأعراض هدفهم في الهجاء.

من خلال ما عرضناه يتبين لنا أنَّ هدَّارة قد رأى أنَّ الهجاء تطور تطورا كبيراً في هذا القرن، وشمل هذا التَّطور المعاني والأهداف، والأسلوب وحتَّى الألفاظ والصُّور، وقد تراوح هذا التَّطور حسب ما رآه هدَّارة "بين الهبوط إلى درجة السِّباب والفحش والابتذال، وبين الارتفاع من النَّاحية الفنِّية إلى

[1]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص428.

درجة التَّصوير السَّاخر الممتع الذي يدّل على طاقة فنِّية مبدعة وذهنية ساخرة، تعتمد على فن أصيل وروح مرحة ضاحكة، ترتفع عن السَّب الرَّخيص والاتهامات الدَّنيئة "[1].

وقد كان هذا التَّطور بفعل عوامل مختلفة جعلته يتجه هذه الاتجاهات التّي أثرت في اختلاف المعايير وتطور الأذواق.

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص436.

الرِّثـــاء:

جـاء في لسـان العـرب لابن منـظور:"رثى فلان فلانًا يرثيه رثياً ومرثية: إذا بكاه بعد موته، أو مدحه بعد الموت، وبكاه، وعدّد محاسنه، وكذلك إذا نظم في ذلك الشِّعر "[1]، والرِّثاء "مصدر رثيت، ومعنى رثيت فلانًا:إذا بكيته وعدَّدت محاسنه، وتقول: رثى فلان لفلان: إذا رق له ،لأنَّ الميِّت تخشع له القلوب وترق له القلوب وجعلت المراثي تسلية لمن عضته النوَّاب بأنيابها، وفرقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وتأسية لمن سبى إلى هذا المصرع، ونهل من هذا المشرع، ووثوقاً باللَّحاق بالماضي"[2].

وقد استمر غرض الرِّثاء على حاله في الشِّعر العربي في القرن الثَّاني مع تغير في بعض السُّبل التِّي انتهجها متأثراً بعوامل مختلفة فكرية واجتماعية، وقد كان الرِّثاء في هذا القرن بنفس الصُّورة التِّي كان عليها من قبل وهي "بكاء هؤلاء الرَّاحلين الأعزَّة عن الدُّنيا من كبار القوم وأهل الملك والرِّياسة والأحبة، وتفنَّن الشُّعراء في إظهار الحزن والشَّجا وعظم المصيبة وفضائل الفقيد ونشطوا في هذا اللَّون من الشِّعر نشاطاً واسعاً، وقد شمل هذا الغرض الرَّاحلين من الخلفاء والوزراء والقادة، وصوروا أحزانهم بأنَّها تمتلئ أسىً وحسرة وتفيض باللَّوعة والفزع "[3].

ومع استمرار مظاهر الرِّثاء القديمة واتجاهاته القديمة في القرن الثَّاني على نفس الحالة التِّي كانت عليها إلا أنَّها "أخذت في التَّضاؤل والانكماش لتخلي السَّبيل للمظاهر والاتجاهات الجديدة "[4]على حدِّ تعبير محمَّد هدَّارة.

لقد وقف هدَّارة في دراسته هذه مع هذا اللّون من الشِّعر باعتباره أحد الموضوعات المجدَّدة في شعر القرن الثَّاني وكذلك باعتباره فنًّا يكاد يكون ثابت المعاني والأهداف ،وقد كانت أوَّل وقفة

[1]– ابن منظور لسان العرب، مادة (رثا)، مرجع سابق، ص61.

[2]– أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، مرجع سابق، ص7.

[3]– صلاح مهدي الزُّبيدي، دراسات في الشِّعر العبَّاسي، ط1، الأكاديميون للنَّشر والتَّوزيع، عمان، الأردن،2013، ص98.

[4]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص437.

يقفها مع هذا اللّون من الشِّعر مع الرِّثاء المذهبي أو السِّياسي – على حدّ تعبير هدَّارة – حيث رأى أنَّ هذا النَّوع من الرِّثاء قد ظلَّ موجوداً في هذا العصر "فكلَّما حدثت معركة بين فريقين متنازعين ،هبَّ شُعراء كلّ فريق يبكون قتلاهم ويثيرون الحزن والشَّجن عليهم، وينزلون الويلات على قاتليهم"[1].

وقد ذكر هدَّارة في حديثه عن هذا اللون الشِّعري بعض شعراء هذه الأحزاب السِّياسية نذكر منهم حسَّان بن جعدة شاعر الخوارج، وعبد الله بن مصعب شاعر الشِّيعة، وعبد الله العبلي وأبي العبَّاس الأعمى اللّذان قاما برثاء بني أمية وملكهم بعد نكبتهم على أيدي العبَّاسيين، وقد بيَّن هدَّارة أنَّ هذا النَّوع من الرِّثاء كان أثراً من آثار الجاهلية والقرن الأوَّل حيث إذ يقول هدَّارة في هذا الصَّدد: "والحقيقة أنَّ هذا النَّوع التَّقليدي من الرِّثاء كان أثراً من آثار الجاهلية والقرن الأوَّل أيضاً، فقد كانت مراثيه مراثي الجاهلية لقلَّة التَّمتع الشُّعوري والإلهام الشِّعري في هذا النَّوع، ونسج شعراء القرن الأوَّل على منوال الأقدمين"[2].

ومن موضوعات الرِّثاء الجديدة في هذا العصر أنَّ الرِّثاء لم يقتصر على بني الإنسان فحسب بل تفنن الشُّعراء فيه "تفنناً لم يعرفه الشِّعر من قبل واتجهوا به وجهاتٍ جديدة فخرجوا به عن دائرة الأشخاص إلى آفاق أخرى معنوية أوحسِّية"[3] ، ومن هذه الضُّروب الجديدة التّي ظهرت في القرن الثَّاني "مراثي الطَّير والحيوانات المستأنسة"[4]، ومن ذلك رثاء أبي نواس لكلبه العزيز في أرجوزة مطلعها:

يَابؤسَ كلبي سـَـيدَ الكـــــلاب قد كان أغناني عن العقاب.

وكان قد أجزى عن القصـــــاب وعن شراء الجلب الجلّاب.

[1]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص437.

[2]– المرجع نفسه، ص439.

[3]– المرجع نفسه.ص.ن.

[4]– سامي يوسف أبو زيد، الأدب العبَّاسي (الشِّعر)، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص47.

يا عين جودي لي على حلّاب من للظِّباء العفر والذئـــاب.[1]

ومن ذلك أيضاً ما ذكره هدَّارة من رثاء الأشياء العزيزة التّي كانت ممتلكة ثمَّ فقدها أصحابها ويشعر صاحبها بالوفاء نحوه والمحبَّة، ومثَّل هدَّارة لهذا النوع برثاء محمَّد بن أبي كريمة لقميصه الذي أغار عليه فأر فقرضه، فيقول في ذلك:

ما إن تمليته حتّى أتيح له خفي دب لطيف الخــطم والأذن.

سريعة السَّمع تصغى ثمَّ تنصبها تحت الظَّلام حـــذار الطَّائر الطَّبن.

ترنوا بكحلاء لا يرنوا بها رمــدٌ خوصاً صدَّاعة مستكشف الدُّجـن.

مستتبع ذنبًا كالسَّير تحسبـــه سقيط مدرى غداة البين من ظعن.

ليلاً فغادره للرِّيح مخترقـــاً كذاك من قد يتبعه الدَّهر بالإحن.

قد صرت نهب هموم مذ أصبت به حليف حزنٍ من البأساء والعطـــن.[2]

ومن ضروب الرِّثاء الجديدة التّي ظهرت في هذا العصر أيضا رثاء المدن حين تنزل بها كوارث النَّهب والحرق، "وكانت نكبة بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون هي الحادثة التّي أثارت خيال الشُّعراء وحركت عواطفهم، بل أسالت دموعهم فطفقوا يبكون مدينتهم الحبيبة إلى نفوسهم ويرثونها بأحر المعاني وأصدق العواطف"[3].

وقد اتفق هدَّارة مع غيره من النُّقاد المهتمين بالشِّعر العربي أمثال سامي يوسف أبو زيد على أنَّ قصيدة الخريمي في رثاء بغداد هي أطول قصائد الرِّثاء في الشِّعر العربي كلِّه وقد كان مطلعها:

---

[1]- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العبَّاسي (الشِّعر)، مرجع سابق، ص47.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص442.

[3]- المرجع نفسه، ص444.

قالوا ولم يلعب الزَّمان ببغـــ ـــداد وتعثر بها عواثرها.

إلى أن يقول:

يابؤس بغداد دار مملكـــة دارت عليها أهلـــها دوائرها.

أمهلها الله ثمَّ عاقبهـــــا لما أحاطت بها كبائرهـــا[1].

وقد وصف هدَّارة هذه القصيدة وما جاء فيها بقوله:"ولعلَّ أطول قصائد الرِّثاء في الشِّعر العربي كلِّه هي قصيدة الخريمي في رثاء بغداد وقد روى منها الطَّبري مائة وخمسة وثلاثين بيتًا أتى فيها على تاريخ بغداد كلّه، ووصف كلّ ركن مشهور من أركانها متحسراً على دمارها وتهدمها، ثمَّ وصف لنا حياتها العابثة اللّاهية وانتشار المجون في مجتمعها ولذلك عاقبها الله بهذه الفتنة الطَّاغية، وتلك الحرب المدمرة التّي قضت على محاسنها وأتت على عناصر فتنتها وبهائها ويصف الخريمي ما دار في هذه الفتنة وصفاً دقيقاً ليصور ما آل إليه حال بغداد من تخريب ودمار، وفقدها أبناءها وهوان أمر بنائها إلى غير ذلك "[2]وقد نقل هدَّارة عن أحمد أمين قوله عن هذه القصيدة بأنَّ "الإنسان يحس فيها بنفس قصصي ممتع طويل لا عهد للعرب به من قبل"[3].

وبعد أن انتهى هدَّارة من وصف قصيدة الخريمي في رثاء بغداد، بيَّن أثر الزهاد في هذا النوع من الشِّعر، حيث أصبح في أيدي الشعراء الزُّهاد وسيلة للتذكير بالموت وتنبيه الغافلين عن اليوم الآخر ومن أشهر شعراءهم أبو العتاهية.

ويبدوا مما ذكرناه أنَّ الرِّثاء دخلته نواحٍ تجديدية في القرن الثَّاني فاتخذ أنواعاً ووجهاتٍ جديدة لم تكن من قبل تتبعها هدَّارة وبيَّن أسباب ظهورها والمستجدات الفاعلة في نشوئها.

---

[1]- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العبَّاسي، مرجع سابق، ص46.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص445.444.

[3]- المرجع نفسه، ص445.

وفيما يلي نتناول فنًّا آخر تناوله هدَّارة وهو من الفنون القديمة في الشِّعر العربي، ولكن دخلته اتجاهات جديدة كما سيأتي بيانه فيما سيأتي، وهذا الفنّ هو الحكمة.

الحكمة:

جاء في لسان العرب لابن منظور الحكمة "العدل، وأحكم الأمر: أتقنه، والحكيم: المتقن للأمور"[1]، وعرَّفها أحمد مطلوب على أنَّها في عرف العلماء "استعمال النَّفس الإنسانية باقتباس العلوم النَّظرية واكتساب الملكة التَّامة على الأعمال الفاضلة قدر طاقتها، وهي خلاصة تجربة الإنسان بصورة موجزة "[2].

وعرَّفها عبد المنعم خفاجي في كتابه الآداب العربية في العصر الأوَّل على أنَّها "آثار التَّفكير في الإنسان والمجتمع والوجود والحقائق والأشياء وهي ثمرات العقل الإنساني والإحساس الفكري بالحياة"[3]، والحكمة قديمة في الشِّعر العربي نجدها في الجاهلية في شعر زهير وأضرابه "وهي أبيات قليلة في الحكمة منتشرة في قصائده، يأتي بها الشَّاعر للنُّصح أو للموعظة وضرب المثل"[4].

وقد رأى هدارة أنَّ شعر الحكمة ظلَّ "على ما هو عليه في القرن الأوَّل، لم يحدث فيه تطور عاهر من حيث معاني هذه الحكم التّي كانت عبارة عن تجارب إنسانية عابرة، ولا من حيث صياغتها وأسلوبها"[5]، وكانت الحكمة في العصر الجاهلي مستمدة من تجارب الشَّاعر وآرائه الخاصة في الحياة، فقد كانت" حكمة العرب راجعة إلى وثاقة الحلول وشدَّة العقول وفضل المنزلة في تجارب الأيام، فهي حكمة لا تجري على مذهب ولا تدور على نِحلة ولا يبلغ بها الزَّمن مبلغ أحد هذين النَّوعين بالقياس والاستنباط، كما يكون ذلك في القضايا العلمية وعلى النَّحو الذي أخذت إليه

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم)، مرجع سابق، ص79.

[2]– أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، مرجع سابق، ص449.

[3]– محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر الأوَّل، مرجع سابق، ص200.

[4]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص447.

[5]– المرجع نفسه، ص ن.

شرائع الرُّومان وفلسفة اليونان مثلاً، وإنَّما كان أساس تلك الحكمة رسوخ الأخلاق فيهم بحكم العادة ونظر كلّ امرئ لنفسه بحكم الطَّبيعة، وذلك محور دينهم الطَّبيعي"[1] ممَّا يعني أنَّ العرب صرفوا حكمتهم في الشِّعر إلى ظواهر تتعلق بالأخلاق والسِّياسة دون المبالاة بمذهب من المذاهب أو دين من الأديان.

وفي العصر الإسلامي كثرت الحكمة وتنوعت بما دخلها فوق ذلك من أثر القرآن والحديث، وعلومهما في التَّفكير والأخلاق والاجتماع، ومع مجيء القرن الثَّاني واتساع آفاق الثَّقافة الإسلامية وتوسع العلوم واحتكاكها بالثَّقافات الأجنبية المختلفة كالفارسية واليونانية والهندية كان لزامًا أن تتنوع مصادر الحكمة ويكثر فيها الشُّعراء لما وجدوه من مصادر جديدة لهذا النوع من الفنِّ الشِّعري.

ومن المعلوم أنَّ حديثنا عن الحكمة يتناول الزهد في أحد جوانبه لالتقائهما في هذا الجانب، لذا أراد هدَّارة منذ البداية أن يفرق بين شعر الحكمة وشعر الزهد على الرَّغم من التقائهما في ناحية أو أكثر إلّا أنَّهما يفترقان افتراقاً واضحًا وقد عرف الزهد على أنَّه "مذهب في الحياة له قواعده ورسومه الخاصة، وله ملابسه وفرائضه المعينة، ويفترض في متبعي هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم في خلوة من البشر متجردين من التَّرف وزخرف الدنيا "[2].

أمَّا الحكمة فقد عرَّفها هدَّارة على أنَّها إن لم تكن تجربة ذاتية فهي "مذهب في الشِّعر لا في الحياة ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء فيه بحكم ثقافته أو تكوينه الفكري، ولا يطلب منه شيء وراء ذلك، فليس هناك قواعد ولا رسوم للشُّعراء الحكماء، وليست هناك فرائض عليهم أداؤها ولا أي تقليد آخر مثلما يفترض في الزُّهد "[3].

وهذا يعني أنَّ الشَّاعر الزَّاهد يلتزم بما يقول في شعره، أمَّا الّذين يملئون شعرهم حكمة فلا يستغرب إن كانوا زنادقة فاسقين أو سكارى ماجنين لأنَّ هذا لا يتنافى مع ذلك.

---

[1]–مصطفى صادق الرَّافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص87.

[2]– المرجع نفسه، ص448.

[3]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص448.

وقد تطور شعر الحكمة بتأثير التّرجمة عن الأمم الأخرى واتساع الثّقافة، وكان أوّل مظاهر التّطور فيما رآه هدّارة "أنّ شعر الحكمة لم يصبح خَطِراتٍ متناثرة كما كان في الجاهلية والقرن الأوّل، ولكنّه أصبح موضوعًا لقصائد خاصة به يقصد إليها الشّاعر قصداً "[1].

وبهذا يصبح شعر الحكمة من المواضيع التّي استقلت بقصائد خاصة بها وكان لها مكانها الثّابت في شعر القرن الثّاني، كما اختص بشعر الحكمة في القرن الثّاني بعض الشُّعراء وجعلوا هذا النوع من الشِّعر"مدارًا لمعظم قصائدهم فعرفوا بذلك واشتهروا بشعرهم الحكمي ومنهم أبو بكر العرزمي... ومحمود الوَّراق...وصالح عبد القدوس...وبشار بن برد "[2].

وقد لاحظ هدّارة أنّ شعر الحكمة في القرن الثّاني بدأ يتطور ليصبح شعراً فلسفياً خالصاً مبيناً ظهوره في بيئة المتكلمين بالخصوص إذ يقول: "بدأ شعر الحكمة يتطور إلى شعر فلسفي خالص نجده في بيئات المتكلّمين على الأخص في مثل شعر بشر بن المعتمر...كما يتضح لنا هذا الشِّعر الفلسفي في أبيات لسليمان الأعمى أخو مسلم بن الوليد، وكان مغرماً فيما يروى بعلم الكلام وبيئات المتكلّمين، يقول فيها:

إنَّ في ذا الجســـــم معتبـراً لطلوب العلـم مقتـــــبسه

هيكـــلٌ للـــرُّوح ينطـــقـــه عرقه والصَّوت من نفـــــسه

لا تـعـظ إلَّا الـلَّـبـيـب فـمـــا يعدل الضِّلع على قوســـــــه

ربَّ مغروس يعـــــاش بـــــه فقدته كف مغتـــرســـــــه

وكـــذاك الـــدَّهـــر مأتمـــه أقرب الأشياء من عرســـــــه [3]

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص448.

[2]- المرجع نفسه، ص449.

[3]- ، محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص452.

ممَّا سبق رأينا أنَّ شعر الحكمة قد تطور في القرن الثَّاني فبعد أن كان خطراتٍ متناثرة في الشِّعر القديم صار له شعراء متخصصون وقصائد تختص بهذا النَّوع من الشِّعر كما اتسعت المعاني فيه لتوسع مصادر المعرفة بسبب ما عرفته الأمة العربية والإسلامية من تفتح على الثَّقافات الأجنبية خصوصًا في هذا القرن بالذَّات.

أمَّا القيمة الفنِّية لشعر الحكمة فقد رأى هدَّارة أنَّها " ضئيلة للغاية لأنَّ مثل هذا الشِّعر يجنح إلى ناحية عقلية محضة قليلة الحظ من الشُّعور العاطفي والوجداني، ولهذا يجهد الإنسان عقله عند قراءته ولا يحس بأي تجاوب عاطفي معه "[1]وبهذا يكون شعر الحكمة مذهبًا شعرياً كان له أثره في الحياة الأدبية في القرن الثَّاني الهجري.

وفيما سيأتي سنتناول مذهباً آخر من مذاهب الشِّعر التّي اعتبرها هدَّارة من الاتجاهات المجدَّدة في القرن الثَّاني من هجرة النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام.

الوصف:

جاء في كتاب التَّعريفات:

"الوصف عبارة عمَّا دلَّ على الذَّات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدلُّ على الذَّات بصفة كأحمر، فإنَّه بجوهر حروفه يدلُّ على معنى مقصود،وهو الحمرة، فالوصف والصِّفة

[1]- المرجع نفسه، ص453.

مصدران، كالوعد والعدة، والمتكلّمون فرّقوا بينهما، فقالوا: الوصف يقوم بالواصف والصِّفة تقوم بالموصوف، وقيل الواصف هو القائم بالفاعل"[1].

وجاء في القاموس المحيط"وصَفَهُ يَصِفُه وصْفاً وصِفَةً: نَعَتَه، فاتَّصَفَ، وتَواصَفُوا الشَّيءَ: وصَفَه بعضُهم لِبعضٍ، والصِّفةُ: كالعِلْمِ والسَّوادِ، وأما النُّحاةُ فإنما يُريدون بها النَّعْتَ، وهو اسمُ الفاعِلِ والمفْعولِ، أَو ما يَرْجِعُ إليهما من طَرِيقِ المعنَى، كمِثْلٍ وشِبْهٍ"[2].

والوصف تصوير خواص الأشياء الحسّية والمعنوية أو هو ذكر الشَّيء بما فيه من الأحوال والهيئات[3]، وأحسن الوصف ما نعت به الشَّيء حتَّى يكاد يمثّله عياناً[4]، والوصف من أبواب الشِّعر العربي، وقد اعتبر كثير من النُّقاد أنَّ الشِّعر العربي جلُّه يرجع إلى هذا الباب من الشِّعر إذ يقول ابن رشيق في كتابه العمدة في محاسن الشِّعر "الشِّعر كلُّه إلَّا أقلُّه راجع إلى باب الوصف"[5]، وقد تنبَّه هدَّارة لهذا ونقل كلام ابن رشيق السَّالف وعلق عليه مبيّناً أنَّ كلَّ ما يقع تحت الحواس يمكن وصفه، بل إنَّ أحوال النَّفس والأفكار غير المحسوسة يمكن للإنسان وصفه أيضاً، وقد اقتصر هدَّارة في هذا المبحث الحديث عن وصف الأشياء المحسوسة لأنَّه لا يريد توسيع دائرة الوصف إلى هذا الحدّ [6].

وما دام للوصف هذه الدَّائرة الواسعة الشَّاملة ولأنَّه جزءٌ طبيعي من منطق الإنسان، لأنَّ النَّفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات وما يكشف للموجودات منها،ولا يكون ذلك إلّا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التَّصور في طريق من طرق السَّمع والبصر والفؤاد، أي الحسّ المعنوي، فالأمم الطَّبيعية هي أصدق الأمم في الوصف طبيعة، لأنَّه سبيل الحقيقة في ألسنتها، ولأنَّ حاجاتها الماسة إليه تجعل هذا الحسّ فيها أقرب إلى الكمال، فإذا أضفت إلى ذلك سعة العبارة

---

[1]– علي بن مُحَمَّد بن علي الزّين الشّريف الجرجاني، التّعريفات، مرجع سابق، ص252.

[2]– الفيروز آبادى، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص860.

[3]– محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر الأوَّل، مرجع سابق، ص172.

[4]–ابن رشيق، العمدة في محاسن الشِّعر، تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، 1955.ج2، ص278.

[5]– المرجع نفسه، ص227.

[6]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص454.

ومطاوعة اللُّغة في التَّصريف كان أجمع للحسّ وأبدع في تصوير الحقيقة بما تكثر من أصباغها ويجيد الحسّ في التَّأليف بينها وتكوين المناسبات الطَّبيعية التّي تظهرها تلك الألوان المهيأة على حسب هذه المناسبات"[1].

وعلى هذا فليس من الغريب أن يكون باب الوصف من أوَّل أبواب الشِّعر نشأة في كلِّ زمان ومكان، وقد تبنى هدَّارة هذا الرَّأي وقال به وهذا ما نلحظه في قوله: "وما دام للوصف هذه الدَّائرة المتسعة الشَّاملة فإنَّ من الطَّبيعي أن يكون من أوَّل أبواب الشِّعر نشأة في كلِّ زمان ومكان، ولكن من الطَّبيعي أيضاً أن يتغير لتغير المحسوسات وغير المحسوسات من عصر لعصر، ومن بيئة لأخرى"[2]، وهذا التغير والتَّطور الذي يطرأ على المحسوسات وغير المحسوسات يجعل هذا الباب خاضعاً لهذا التطور أيضًا، وهذا ما جعل هدَّارة يجعل باب الوصف من الفنون الشِّعرية المجدَّدة في القرن الثَّاني التّي تستحق الدِّراسة لتبيان ما فيها من اتجاهات ومظاهر جديدة.

إنَّ تغير الذَّوق العام وتطور ما يقع عليه الحسُّ جعل هذا النَّوع من الشِّعر يتطور بتغير هذا الذَّوق ففي نجد الشُّعراء قد وصفوا "كلَّ ما وقعت عليه أعينهم من شتَّى ألوان بيئتهم التّي عاشوا فيها، ومظاهر الحياة التّي ألفوها في هذه البيئة"[3].

وقد كان هذا سبباً في تطبيقهم وصف الحيوان والنَّبات وغيرهما على علومهم ومعارفهم التّي خلّدوها في أشعارهم لأنَّ من أخص مزايا العلم التَّدقيق والاستقصاء، حتَّى قال الجاحظ: "قلَّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلِّمين إلا ونحن قد وجدنا قريباً منه في أشعار العرب والأعراب"[4]، وقد عرف كثير من الشُّعراء بإجادة الوصف في أنواع غلبت عليهم الإجادة فيها فقد "اشتهر من نعَّات الخيل امرؤ القيس، وأبو دؤاد، وطفيل الغنوي والنَّابغة

[1]- مصطفى صادق الرَّافعي،تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ص82.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري مرجع سابق، ، ص454.

[3]- محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر الأوَّل، مرجع سابق، ص172.

[4]- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان تح:عبد السَّلام محمّد هارون ،ج3 ،ط2، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده بمصر، 1965، ص83.

الجعدي، ومن نعَّات الإبل طرفة، وأوس بن حجر، وكعب بن زهير..."[1]، فهؤلاء الشُّعراء الذين عددناهم قد ذهب لهم بالأوصاف التّي غلبت عليهم الإجادة فيها، ولم يكن لمن جاء بعدهم مثل ذلك ولو أحسنوا في أشياء كثيرة.

ولما جاء الإسلام حافظ هذا النَّوع من الشِّعر على خصائصه التِّي يجري الشُّعراء فيها "على الصِّدق ويسيرون في ظلّ الحقائق القريبة وهذا مذهب من مذاهب العرب في أن يصفوا الشَّيء على ما هو عليه وعلى ما شوهد من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع"[2]، ولما جاء القرن الثَّاني رغب النَّاس عن تلك الأوصاف لتطور الذّوق العام وتطور ما يقع عليه الحسّ بسبب طبيعة العصر والحضَارة التِّي كان يعيش فيها أصحاب هذا الذَّوق، فقد رأى هدَّارة أنَّ "كلَّ ما يتعلق بالحياة الصَّحراوية أصبح بعيدًا عن الحياة العربية في القرن الثَّاني في الحواضر والمدن ذات القصور العالية والبساتين الفيحاء والتّي تجلَّت فيها مظاهر الحياة المادية في أجمل صورها وأبهى معانيها"[3]، ولهذا نجد الوصف قد اهتم بهذا الجانب المادي من الحضارة الجديدة ويمكن حصر ما ذكره هدَّارة من أوصاف فيما يلي:

- وصف القصور[4].
- وصف بيوت القيان[5].
- وصف السُّفن[6].
- وصف المدن[7].

---

[1]- مصطفى صادق الرَّافعي، تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ص86.

[2]- محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر الأوَّل، مرجع سابق، ص175.

[3]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص454.

[4]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص454.

[5]- المرجع نفسه،ص456.

[6]- المرجع نفسه،ص457.

[7]- المرجع نفسه، ص459.

- وصف الكتب[1].
- وصف القلم[2].
- الوصف الذَّاتي[3].
- وصف الطَّبيعة[4].

وقد بيَّن هدَّارة في حديثه عن هذه الاتجاهات الجديدة في الشِّعر الوصفي أنَّ هذا الأخير قد تعددت جوانبه واتسع ميدانه حيث"يمكننا القول إنَّ شعراء القرن الثَّاني لم يدعوا مظهراً من مظاهر الحياة المادية الجديدة التّي كانت تقع تحت أبصارهم إلَّا وصفوه في دقّة وتفصيل "[5].

وبالإضافة إلى ما ذكرناه من أنواع الوصف التّي ظهرت في القرن الثَّاني أشار إلى نوع جديد آخر سمَّاه الوصف السَّاخر وذكر قصيدة بشَّار بن برد في وصف نعجة أهداه له فتًى من بني منقر يقول فيها:

وهبت لنا يا فتى منقر وعجلٍ وأكرمهم أوَّلا.
عجوزاً قد اوردها عمرها وأسكنها الدَّهر دار البلى.
سلوحاً توهمت أنَّ الرِّعاء سقوها ليسهلها الحنظلا.
أضرط من أمِّ ميتاعها إن اقتحمت بكرة حرملا.
وضعت يميني على ظهرها فخلت حراقفها جندلا.
وأهوت شمالٌ لعرقوبها فخلت عراقبها مغزلا.

[1]- المرجع نفسه، ص460.
[2]- المرجع نفسه ،ص461.
[3]- المرجع نفسه، ص ن.
[4]- المرجع نفسه، ص461.
[5]- المرجع نفسه،ص458.

وقـلَّبـت إلـيـتـهــا بعـد ذا فشبَّهت عصعصها منجلا[1].

وممَّا سبق يتضح لنا أنَّ هدَّارة عدَّ الوصف من فنون الشِّعر التِّي تجدّدت بالفعل في القرن الثَّاني، وقد اتسعت دائرتها لتشمل الماديات والمعنويات على السَّواء، ووصف المحسوس وغير المحسوس، وأنَّ حضارة القرن الثَّاني انعكست بصورة واضحة وجلية في شعر هذا القرن.

الطــرد:

وفقًا لما جاء في معجم النَّقد الأدبي لأحمد مطلوب "الطَّرديات: هي الشِّعر الّذي قيل في كلاب الصَّيد"[2] الطَّرد أو الشِّعر الّذي يقال في الصَّيد عرف منذ حين" كان الشَّاعر الجاهلي يصف مطاردته بجواده لحمار وحشي، أو تتبّعه لظبي أو طائر، أو حين يصف صراع ظبي مع حمار وحشي، أو ما أشبه من أنواع الصِّراع التّي تنشب بين الحيوان في الصَّحراء القاحلة الّتي كانت تحيط به"[3].

وقد عدَّ عبد المنعم خفاجي شعر الطَّرد والصَّيد من باب الوصف، إذ اتفق مع هدّارة في هذا حيث يقول هدّارة "وكان هذا الوصف –أي وصف الصَّيد– بطبيعة الحال جزءًا من القصيدة التّي يكتبها الجاهلي في أغراض كثيرة من مدح إلى نسيب إلى هجاء إلى فخر، إلى غير ذلك من الموضوعات التّي كان يخوض فيها"[4]، وقد كان هذا اللَّون من الشِّعر مألوفًا ببساطة عند الجاهليين لأنَّه"كان مألوفًا في الحياة الجاهلية السَّاذجة"[5]، وعندما ظهر الإسلام اشتغل الشُّعراء أيام الرَّسول والخلفاء الرَّاشدين بموضوعات أخرى في الرَّد على المشركين والانتصار للإسلام ولم يهتموا كثيرًا بالموضوعات الّتي يخوض فيها الشَّاعر الجاهلي ومن بينها الطَّرد[6] وقد اتفق هدَّارة مع كثير من النُّقاد

[1] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص465.

[2] – أحمد مطلوب، معجم النَّقد الأدبي، ج2، مرجع سابق، ص113

[3] – المرجع نفسه، ص467.

[4] – عبد المنعم خفاجي، تاريخ الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأول، مرجع سابق، ص193.

[5] – المرجع نفسه، صن.

[6] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص467.

في هذا إذ يقول عبد المنعم خفاجي في هذا الشَّأن: "وفي العصر الإسلامي هجر النَّاس اللَّهو وعاشوا حياة كلّها جدّ وإقدام ونشاط وعمل، فانصرفوا عن الصَّيد إلا قليلًا منهم كالشَّمردل ابن شريك فله في الصَّيد والطَّرد أراجيز حسان"[1] وفي العصر الأموي انشغل الشّعراء بالسِّياسة فأخذت كلّ جهدهم حيث لم يكن للطَّرد حظ فيها لأنَ هواية الصَّيد نفسها لم تكن قد أصبحت جزءًا رئيسًا في الحضارة الجديدة التي غزت مظاهرها معالم الحياة العربية في كلّ ناحية"[2] أمَّا في أواخر القرن الأوَّل وبداية الثَّاني فقد رأى هدَّارة أنَّ هواية الصَّيد بدأت "تأخذ مكانها في المجتمع العربي وتنتشر بين الطَّبقة الارستقراطية وفي البيئات المترفة الغنية، ولم تكن تتابع في هوايتها ما كان موجوداً في العصر الجاهلي من أنواع الصَّيد وطرقه"[3].

وقد علّل هدارة ذلك بأنَّ هواية الصَّيد كانت "متأثرة بالحضارة الجديدة التي شاعت في هذه الفترة والتّي اقتبست فيما اقتبسته من مظاهر التَّرف المادي عند الأمم الأجنبية هواية الصَّيد ووسائلها وأدواتها"[4] ولعل أبرز مايكشف هذا، تلك الكتب المؤلفة أو المترجمة والتّي تذكرها كتب الأدب في فن الصيد ووسائله.

كما لا حظ هدَّارة أنَّ الشِّعر الّذي وصلنا في هذا الفنّ من الشِّعر كان منظومًا في بحر الرَّجز والسَّبب في ذلك"أنَّ هذا النَّوع من الشِّعر كان أصله بدويًا، ومضمونه أقرب إلى أحوال أهل الوبر منه إلى عيشة سكان المدن وأهل الحضر "[5].

وقد أكَّد هدَّارة هذا بأنَّ لغة شعر الطَّرد أصبحت تجنح إلى الغريب واستخدام الألفاظ الوحشية، وكأنَّ الشَّاعر قد أحسَّ أنَّه في شعر الطَّرد يرجع إلى العصر الجاهلي بيئة وموضوعًا لهذا كان

[1] – عبد المنعم خفاجي، تاريخ الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأول، مرجع سابق، ص193.

[2] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص467.

[3] – المرجع نفسه، ص.ن.

[4] – المرجع نفسه، ص.ن.

[5] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص468.

يصطنع هذه اللُّغة الجاهلية في هذا اللّون من الشِّعر اصطناعًا ليكمل صُّورة هذا النَّوع من الشِّعر بالملائمة بين الشَّكل والمحتوى.

وقد ذكر هدَّارة الكثير من الشُّعراء الّذين تناولوا هذا الفن من الشِّعر، نذكر منهم الشَّمردل ابن شريك، والّذي كان معاصرًا لجرير والفرزدق وكان"صاحب قنص وصيد بالجوارح وله في الصَّقر والكلب أراجيز كثيرة"[1].

ومما ذكره له هدَّارة أرجوزة في طرد عشر نعائم يصفها فيقول:

أنعـــــتُ مهرًا سِبْط الـقَـــــراةِ وردًا طِمِرًا مدمـــــج السَّـــــراة.

يغـــدوا بنهـدٍ في اللِّجـام عـــاتٍ نعـائـمًـــا عـشـــرا مطـــرَّداتٍ.

صُـــكَّ الـعراقـــيب هجنَّعـــات فانصـــــاع وانصـــعن مولّيـــات.

مـــا كـــــان إلّا هـــاكَـه وهـــاتِ حتَّى اجتمـعـن متـنـاغـصـات.

بالسَّـهـــب والـــغـدرِ مـن الحماةِ واختلَّ حضنا هيقـة شـوشـــــات.

فانعقرت مـن آخـر الهَـيـقَـــاتِ بغـير تكبـــــير ولا صـــــلاة.

كـــأنَّـهـا خـــالـــفـــة السُّـــــراة[2].

وممن ذكره هدَّارة في هذا الفن أبو نوَّاس الّذي هو في رأي عبد المنعم خفاجي قد نبغ"في الطَّرد وكاد أن يخلق هذا الباب خلقًا جديدًا، ونظم الأراجيز في وصف كلاب الصَّيد وآلاته وافتراسه ووصف الرَّحلات التي يقوم بها للصَّيد، واشتهر بالإجادة في هذا الباب وعكف عليه تجويدًا وتجديدًا ولم يتابعه أحد من الشُّعراء بعده إلا ابن المعتز الّذي اشتهر بالصَّيد والطَّرد شهرة أبي نوَّاس"[3].

[1]- المرجع نفسه، ص469.

[2]- المرجع نفسه، ص.ن.

[3] - عبد المنعم خفاجي، تاريخ الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأول، مرجع سابق، ص193.

ويمكن أن نقول أنَّ فنَّ أبي نوَّاس في الطَّرد كان تقليدًا موروثًا لأنَّ بيئة الصَّيد وجوّه وموضوعه كانت توحي بجوّ الصَّحراء وتلبس الرُّوح الجاهلية القديمة.ومما ذكره هدَّارة لأبي نوَّاس في هذا الباب قصيدة في وصف كلب صيد يقول فيها:

أَنْـعَتُ كَـلبًا ليـس بالمـسـبوقِ مهطَّـمًا يجـري عـلى العـــروق.
جاءت به الأمـلاك من سـلـوق كـأنَّـه في المـقـود الـممـثـوق.
إذا عـــدا عـــدوةً لا معـــوق يلـعـــب بين السَّـــهل والخروق.
يشفى مـن الطَّرد جوى المشـوقِ فالوحش لو مرَّت على العيُّـــوق.
أنزلـــها دامـــيَة الحُلـــوقِ ذاك علـيـه أوجـب الحـقـــوق.
لـــكلِّ صيـــــادٍ بـــــه مرزوق[1].

وهكذا كان أبو نوَّاس من أشهر الشُّعراء الّذين أبدعوا في هذا وجعلوه بابًا في ديوان الشِّعر العربي وكان تجديده في إطار تقليد الموروث في هذا الفنّ استجابة لما تفرضه طبيعة الموضوع وبيئته.

الخمريات:

عرَّفها أحمد مطلوب على أنَّها" فن من فنون الشِّعر، تقال في وصف الخمرة ومجالسها، وقد اشتهر بها بعض الشُّعراء كالأعشى والأخطل وأبي نوَّاس، وأدخلها ابن وهب في اللَّهو من فنون الشِّعر، قال: "ويكون من اللَّهو: الغزل، والطَّرد، وصفة الخمر، والمجون"[1].

[1]– محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص471.

وقد أدرجها هدَّارة ضمن الفنون الوصفية حيث بيَّن أنَّ هذا الفنّ قد "استقل بنفسه وأصبح بابًا هامًّا من أبواب الشِّعر العربي منذ القرن الثَّاني "[2].

وقد اتسع هذا الفنّ وانتشر نتيجة لاتساع موجة المجون بداية مع أواخر القرن الأوَّل في المجتمع الإسلامي و"زوال التَّحرج الدِّيني بشأنها شيئا فشيئاً لوجود فرق مذهبية كثيرة تتصرف تصرفًا واسعًا في مسائل المنع والتَّحريم "[3]بالإضافة إلى شيوع التَّرف في المجتمع الإسلامي وتدفق الثَّروة عليه وتسلط التَّأثيرات الأجنبية على حضارته وخاصة في جانبها المادي[4] وغيرها من العوامل التّي أتى على ذكرها هدَّارة والتّي جعلت الخمر سهلة ميسرة في المجتمع الإسلامي وجعلته يقبل عليها شيئًا فشيئًا.

وقد ظهر في القرن الثَّاني اتجاهات جديدة في هذا الفنّ حيث تطور تطورا كبيرًا لم يشهده من قبل على أيدي العديد من الشُّعراء الّذين اشتهروا وذاع صيتهم باللَّهو والمجون نذكر منهم الوليد بن يزيد* وخير ما يمثِّله قصيدة ذكرها هدَّارة يقول فيها:

اصـــــدع نجـــيَّ الهموم بالطَّرب وانعـــم عـــلى الـدَّهر بابـنة العـنبِ.
واستقـــــبلِ الـــعيشَ في غضـارته لا تقفُ مـنه آثـــــار محـــتـــقـــبِ.
من قهـوة زانـهـــا تـقـــادمـــــها فهي عجوز تعلو عـــــلى الحـــقـــب.
أشـــهـــى إلى الشُّـربِ يوم جـلوتها مـــن الفـتـــاة الكـــريمـــة النَّســـــب.
فقـد تجلَّـــت ورقَّ جـــوهرها حـتَّى تبـــدَّت في مظـهر عـجـــــب.
فهـــي بغـــير المزاج من شـــررٍ وهـــي لـدى المـزج سـائـل الذهـــب.
كأنّـها في زجـــاجـها قبـــــسٌ تذكو ضيـاءً في عـــــين مرتقـــب[5].

---

[1] – أحمد مطلوب، معجم النَّقد الأدبي، مرجع سابق، ص473.

[2] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص473.

[3] – المرجع نفسه، ص477.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص.ن.

* تنسب هذه القصيدة لأبي نوَّاس أيضًا.

[5] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص482.

ومنهم كذلك أبو الهندي غالب بن عبد القدوس[1] وحمَّاد عجرد، وعلي بن الخليل[2] إبراهيم الموصلي، وأبو الشَّيص[3] ومن الأمثلة التّي قدَّمها هدَّارة يتبيَّن أنَّ شعر الخمر قد تطور تطورًا عجيبًا وواضحًا في الشَّكل والمحتوى.

إنَّ هذا الّذي سلف ما هو إلّا إشارة لما تطرق إليه هدَّارة في هذا الفنّ حيث يتبيَّن أنَّ هذا الفنّ تجدَّد واتسع ميدانه، وكثر شعراؤه، وتغير في الشَّكل والمحتوى على السَّواء وكان يقارن بحسب طبيعة العصر بالمجون والغزل بالمذكر وأحيانًا بالزَّندقة...إلخ.

التَّـغـزل:

وفقًا لما جاء في لسان العرب لابن منظور: "الغزل: حديث الفتيان والفتيات، قال ابن سيده: "الغزل: اللَّهو مع النِّساء، ومغازلتهن: محادثتهن، والتَّغزل: التَّكلف لذالك، وقد غزل غزلاً وقد تغزَّل بها وغازلها وغازلته مغازلة، ورجل غزل متغزلٍ بالنِّساء على النَّسب أي: ذو غزل"[4]

وعرَّفه أحمد مطلوب بأنَّه أحد فنون الشِّعر وأغراضه، واشتقاقه "من الرِّقة لأنَّ المتغزل يرقق ألفاظه حتَّى يستميل بها القلوب" ويعدها للرسائل والوسائل بين المحب والمحبوب"[5] وهذا الفن من الشِّعر من أقدم فنونه نشأة عند العرب وأكثرها شيوعًا وعلّل هدَّارة هذا باتصالها الوثيق بطبيعة الإنسان "فالحب أو محاولة الحب لغة عالمية وميل فطري في كلّ بيئة ووصف المحبوبة والتَّغني بجمالها إحساس تلقائي"[6] لكن مع ذلك مرَّ هذا الفن كغيره من الفنون الشِّعرية بتطورات جعلت منه يتغير تغيرًا وتطورا كبيرًا منذ الجاهلية حتَّى القرن الثَّاني إذ "طرأت عليه عوامل مختلفة خاصة في الحجاز

---

[1] – المرجع نفسه، ص.ن.

[2] – المرجع نفسه، ص486.

[3] – المرجع نفسه، ص487.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (غزل)، مرجع سابق، ص81.

[5] –أحمد مطلوب، معجم النَّقد الأدبي، مرجع سابق، ص144.

[6] – ينظر: محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص500.

حولته، عن صورته الجاهلية القديمة إلى صورة جديدة تتضح فيها التَّأثيرات الحضارية المختلفة"[1]، وقد حصر هدَّارة أنواع التَّغزل الجديدة في القرن الثَّاني في أربعة أنواع:

التَّغزل المعنوي:

وعرفه هدَّارة بأنَّه ذلك التَّغزل الّذي لا يشرّح جسم المحبوبة ويصف لنا كلَّ جزء فيه ومقدار ما به من جمال[2].

التَّغزل الحسّي:

هو ذلك التغزل الّذي تميَّز بالعبث والمجون[3].

التَّغزل بالمذَّكر:

انحراف شاع في القرن الثَّاني لأسباب اجتماعية قوية التَّأثير أو ما سماه هدَّارة حبّ الجنس أو ما يسميه علماء النَّفس[4].

القصص الغزلي:

من أنواع التَّغزل الجديدة التّي ظهرت في القرن الثَّاني متأثرة بالقصص والأساطير والروايات التّي ترجمت إلى اللّغة في هذا القرن[5].

---

[1]- المرجع نفسه، ص.ن.

[2]-المرجع نفسه، ص503.

[3]- المرجع نفسه، ص513.

[4]-المرجع نفسه، ص517.

[5]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، مرجع سابق، ص524.

وقد امتاز أسلوب الغزل "بجماله وسلاسته وعذوبته ممَّالا يصلح شيء منه في مواقف الجدّ وأوصاف الحرب...ويشيع في الغزل التَّهالك وإظهار الصَّبابة "[1].

حيث تجد رقة الأسلوب وجمال الحوار المبتكر وسحر المعاني ولطفها ممَّا يسمو بفنِّ الشَّاعر في الغزل إلى منزلة عالية.

ولعلَّنا نقف عند هذا الحدِّ من الأغراض الشِّعرية التّي تناولها هدَّارة بالدَّرس لأنَّ المقام لا يسعنا لتناولها كلِّها وتتبع آراء هدَّاة فيها وقد تركنا المجال لمن يأت بعدنا لإتمام ما بدأنا فيه، والاستفادة من هذا المنجز القيِّم الذي يبيِّن سعة اطِّلاع صاحبه ومدى فهمه لطبيعة تطور الأدب القديم وبخاصة الشِّعر العربي في جميع مراحله.

المبحث الثَّاني: الاتجاهات الجديدة في القرن الثاني الهجري

لقد تعرَّض محمَّد هدَّارة في كتابه الذي بين أيدينا إلى أهم الاتجاهات الجديدة في الشِّعر العربي وقد تناول هدَّارة هذه الاتجاهات بالدَّرس والتَّحليل ناظراً في المؤثرات فيها وإلى بواعثها

[1]- المرجع نفسه، ص ن.

وارتباطاتها وخلفياتها الفكرية، كما تعرض إلى قيمتها الفنّية من حيث الموضوع ولعلّنا سنذكر بعض الاتجاهات التي تعرض لها هدّارة مبينين آرائه فيها ومن هذه الاتجاهات ما يلي:

المجون:

وفقاً لما جاء في لسان العرب "مجنت الأرض مجونًا إذا صلبت وغلظت، ومنه جاء اشتقاق كلمة "ماجن" لصلابة وجهه وقلة استحيائه، والمجانة أيضاً معناها أن لا يبالي الإنسان ما صنع وما قيل له، وذكر أنَّ الماجن هو الذّي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ولا يمضه عذل عاذل ولا تقريع من يقرعه "[1].

وقد عرَّفه هدَّارة بأنَّه "ارتكاب الأعمال المخلَّة بالآداب العامة والعرف والتَّقاليد دون تستر واستحياء "[2].

وقد رأى هدَّارة أنَّ المجون نشأ في القرن الثَّاني كتيار له مكانته في المجتمع الإسلامي حيث يقول: "ونشأة المجون إنَّما ترتبط بالقرن الثَّاني ارتباطًا كاملاً، إذ أنَّ المجون في القرن الأوَّل كان مسألة فردية وليس تيارًا عاتياً"[3].

وقد بينَّا فيما سبق تأثير الثَّقافة الفارسية في الثَّقافة العربية الإسلامية حيث شمل هذا التَّأثير تيار المجون وكانت هذه الثَّقافة من أبرز العوامل المساعدة على ظهوره بسبب ما كان من احتكاك بين الثَّقافتين عن طريق الترجمة أو غيرها من الوسائل التّي ساعدت على انتشاره وقد وصف طه حسين بداية المجون بقوله: "لم يكد يبتدئ القرن الثَّاني الهجري حتَّى ظهر المجون وانتشر ووصل قصور الخلفاء، ثمَّ كانت ثورة العبَّاسيين فتمَّ انتصار الفرس على العرب، وانتقل مركز الخلافة من الشَّام إلى العراق،

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة مجن، مرجع سابق، ص83.

[2]- محمّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص203.

[3]- المرجع نفسه، ص204.

وأصبح الأدب عراقيا،لا شامياً ولا بدوياً أي أصبح خاضعاً من كثب إلى تأثير الفرس وحضارة الفرس فتمَّ انتصار العبث والمجون"[1].

ويقول هدَّارة: "والحقيقة أنَّنا لا نستطيع أن نسقط من حسابنا التَّأثير الفارسي في مدّ تيار المجون بأسباب القوة والحياة، فقد تمَّ اختلاط العرب بالفرس بعد أن وصلت الدَّولة الفارسية إلى عصر انحطاطها الاجتماعي بحيث أصبح أكثر ما تهتم به الطَّبقات الأرستقراطية ملء بطونها بلذيذ المأكل والمشرب والإقبال على الشَّهوات بأنواعها المختلفة.

وقد غصت بيوت الأثرياء بالرَّقيق الفاسدين المفسدين وأصبح السُّكر رذيلة شائعة بين كلّ الطَّبقات، ويبدو أنَّ هذه الحياة الاجتماعية الماجنة قد أنتجت أنواعاً من الأدب المكشوف، تداولتها أيدي المترجمين العرب فكان لها تأثير خطير في إشاعة الإباحة والمجون في المجتمع الإسلامي"[2].

في حين يرى يوسف خليف " أنَّ نزعة اللَّهو لم تكن وليدة العصر العبَّاسي وحده وإنَّما بدأت مع مطالع القرن الثَّاني الهجري، فلم يكد ينقضي القرن الأوَّل الهجري، وتنقضي معه خلافة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الرَّاشدين حتَّى بدأت هذه الموجة في الظّهور، وبدأنا نسمع عن البلاط الأموي، وما كان ينتشر من أسباب الخلاعة والتَّحلُّل"[3].

بالإضافة إلى عامل تأثير الثَّقافة الفارسية في انتشار تيار المجون نجد عاملاً آخراً كان له تأثير خطير في مده بعوامل القوة وهو انتشار مذاهب الغلاة من الشِّيعة يقول هدَّارة: "ولكن انتشار مذاهب الغلاة من الشِّيعة كان له تأثير خطير في مدّ هذا التَّيار بروافد قوية حتَّى إنَّه كاد يصبح طوفانًا يجرف في سبيله تعاليم الإسلام وفضائله وتقاليد العرب السَّامية "[4].

---

[1]- طه حسين، حديث الأربعاء، ج2، دار المعارف، مصر، 1964، ط14، ص82.

[2]- مُحَمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص205.

[3]-يوسف خليف، تاريخ الشِّعر في العصر العبَّاسي ، دار الثَّقافة للطباعة والنَّشر، القاهرة، 1981، ص32.

[4]- يوسف خليف، تاريخ الشِّعر في العصر العبَّاسي ، مرجع سابق، ص32.

وقد بيَّن هدارة أنَّ الحقائق التَّاريخية تؤكد هذه الصِّلة التّي تربط بين تيارات الشِّيعة الغلاة وتيار المجون.كما اعتبر هدَّارة أنَّ المجون أولى درجات الزَّندقة حيث يتبين لنا أنَّ تيار المجون الّذي ظهر في هذا القرن لم يكن نزعة بريئة ساذجة يدعوا إليها الترف والتَّطرف الاجتماعي فحسب، ولكنَّه كان نتيجة مؤثرات عميقة كالمذاهب الدِّينية والفكرية المختلفة، والتَّطورات الخطيرة التّي حدثت في تكوين المجتمع الإسلامي في القرن الثَّاني.

وقد كان لحركة الشُّعوبية أيضاً تأثير في هذا التَّيار الماجن بالإضافة إلى ما ذكرناه من تأثير الفرس والشِّيعة في مدّ هذا التَّيار بروافد القوة والحياة وقد بيَّن هدَّارة هذا التَّأثير والصِّلة الموجودة بين الشُّعوبية وتيار المجون حيث يقول: "لا نستطيع أن ننكر تأثير حركة الشُّعوبية في هذا التَّيار الماجن، خاصة أنَّنا نجد رؤوس الماجنين منذ بداية القرن الثَّاني وأغلب أفراد عصابة المجان...من الموالي، بل بعضهم من المتعصبين ضد العرب المنضوين إلى حركة الشُّعوبية"[1].

حيث لم يستبعد هدَّارة أن يكون استهتار هذه الفئة من الشُّعوبيين وحثهم على المجون وسعيهم لانتشاره وإشاعته، جزءًا من سياسة الشُّعوبيين التي أرادوا بها هدم مقومات المجتمع الإسلامي،والسَّبب الذي جعل هدَّارة يذهب إلى هذا الرَّأي هو "أنَّ أساس المجون عند هؤلاء الشُّعراء كان المجاهرة به، وليس ضرورياً لمن أراد أن يستبيح محرماً أن يجهر به إلَّا إذا أراد من وراء مجاهرته الدَّعوة إلى مذهبه"[2].

وقد رأى هدَّارة أنَّه من الصَّعب أن نفصل بين المجون والشُّعوبية والإلحاد والكفر حيث قلَّ أن نجد شاعراً ماجناً ولم يتصل بالشُّعوبية خاصة عند الشَّاعرين اللذين ارتبط اسمهما بالشُّعوبية، نعني بذلك بشَّار وأبي نواس. وهذا ما نلمحه في شعر الماجنين، حيث لا يكتفي الشاعر أبي نواس بالمجاهرة بالمجون، ولكن يؤكد إصراره على المضي في الفساد والغي فيقول:

[1]- محمَّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص215.

[2]- المرجع نفسه، ص216.

لست بالتّارك لــذات الندامى للصلاح

قل لمن يبغي صلاحا بعت رشدي بطلاحي

أطيب اللـــذات ما كان جهارا بافتضاح

ومع ذلك وجد شعراء ماجنون "لا يتصلون بالشُّعوبية لأنَّ الذي دعاهم إلى المجون عوامل أخرى اجتماعية وثقافية وحضارية، ولكنَّنا مع ذلك لا نعفي الحركة الشُّعوبية من هذا التَّأثير في تيار المجون"[1].

وقد رأى شوقي ضيف أنَّ الذي "ساعد في انتشار هذه الموجة عاملان:ظهور مذاهب شاكّة بَلبَلتْ الأفكار وعلى رأسها مذاهب الزَّنادقة والدَّهريّين، ثمَّ انتشار دور القيان والغناء"[2].

ويتبن لنا أنَّ من خلال ما أنجزه هدَّارة وكثرة الشُّعراء الذين أوردهم أنَّ تيار المجون كان يعبِّر عن اتجاه واضح في هذا القرن، ومهما يكن فإنَّ تيار المجون كان من اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني لم يظهر من قبل شأنه شأن الاتجاهات الأخرى التّي تناولها هدَّارة والتّي كان جميعها صدًى لاتجاهات حياة المجتمع الإسلامي في هذا القرن.

الزَّنــدقـــة:

لقد اختلفت الآراء في أصل كلمتي زندقة وزنديق، وربَّما اتفق معظم الباحثين والنُّقاد على أنَّ أصل الكلمة آرامي وسرياني، وهو (زنديق) وأنَّها انتقلت إلى الفرس بعد أن حرفت إلى (زنديك)، ولما انتقلت إلى العربية أصبحت (زنديق)، ولعلَّ أقرب الآراء إلى الصَّواب، أنَّه كان بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة السَّماعين، وهم الأحرار الذين لم يلتزموا تعاليم المانوية الفارسية من زهد وتقشف

[1]– محمَّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص217.

[2]–شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشِّعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1978، ط10، ص100.

ورهبنة، وطبقة تسمى الصِّديقين، وهم الذين يلتزمون تعاليم المانوية، وكلمة (صدِّيق) العربية تستعمل في العبرية بلفظها ومعناها، وكانت كلمة زنديق تطلق أوَّل الأمر على المؤمن المخلص من أتباع ماني* ولكن الزّرادشتيين نظروا إلى المانوية على أنَّهم ملاحدة.

وهذا هو المعنى الذي ما زال يفهم من الكلمة في العصور الإسلامية [1]، وقد بيَّنا فيما سبق أنَّ هدَّارة قد اعتبر المجون أوَّل درجة في طريق الزَّندقة، وقد رأى هدّارة أيضاً أنَّ بدايتها كانت في أواخر القرن الأوَّل وأوائل الثَّاني "وكان ظهورها في العراق حيث العناصر الفارسية والمعتقدات والمذاهب التّي يجمعها مفهوم الزَّندقة، وظهرت بالكوفة بالذَّات مختلطة بأنواع المجون والتَّهتك"[2].

وبهذا يمكن القول أنَّ العراق بحكم موقعه وظروفه المختلفة كان الميدان الأوَّل الذي ظهرت فيه حركة الزَّندقة منذ نهاية القرن الأوَّل وبداية القرن الثَّاني.

وقد بيَّن هدَّارة أنَّ للشُّعوبية أثر كبير في قوة هذا التَّيار "وأنَّ الشُّعوبيّين كانوا يهدفون إلى تحطيم معنويات المسلمين ودسْ الأكاذيب والمفتريات في أصول دينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً"[3]، وقد جعل هدَّارة اتصال الزَّندقة بحركة الشُّعوبية من جهة، وترعرعها في خراسان من جهة أخرى يجعلنا نبحث في علاقة الزَّندقة بحركات الشِّيعة المتطرفة وفرقها أيضًا "فليس من سبيل إلى إنكار حقيقة هذا الاتصال بين روافض الشِّيعة وغلاتها وبين حركة الزَّندقة والعمل على انتشارها في أوساط المجتمع الإسلامي... وهذه مذاهبهم بين أيدينا تعبِّر أصدق تعبير عن المضمون الحقيقي لمعنى الزَّندقة"[4].

* هو ماني بن فاتك الحكيم، مصلح إيراني، ظهر في القرن الثَّالث الميلادي، في زمان الملك سابور بن أردشير، أعلن النُّبوة، أحدث ديناً بين المجوسية والنَّصرانية، وكان يقول بنبوة عيسى عليه السَّلام، ولا يؤمن بنبوة موسى عليه السَّلام.

[1]- ينظر:أحمد محمَّد حوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط3، دار نهضة مصر للطبع والنَّشر ، القاهرة،1978، ص130.

[2]- محمَّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني،مرجع سابق، ص230.

[3]- المرجع نفسه، ص232.

[4]- محمَّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص238.

ومن خلال الصِّلة بين الزَّندقة والتَّشيع نستطيع أن نفهم لماذا كان الشُّعوبيون وغالبية الموالي ينضوون تحت حركة التَّشيع ويتعصبون لها أشدَّ التَّعصب لأنَّهم وجدوا فيها ستارًا يحقق ما خبئ في نفوسهم من الحقد على الإسلام والكيد له ومحاولة إسقاط دولته وهدم كيانه وإزالة سلطانه.

وقد وضَّح هدَّارة أنَّ الزَّنادقة لم يكونوا جميعهم من الشُّعوبيِّين أو من غلاة الشِّيعة، بل كانوا في الواقع أنواعًا كثيرة تحثُّها على الزَّندقة دوافع مختلفة يمكن حصرها في ثلاثة أنواع:

الدَّافـــع الدِّينـــي:

الطَّائفة التّي خضعت له تؤمن بالزَّندقة إيمانًا صحيحًا صادرًا عن رغبة دينية صادقة.

الدَّافـــع السِّياســـي:

الطَّائفة التّي خضعت له وجدت في الزَّندقة تراثًا قومياً خلفه الآباء، فيجب الحرص عليه للنَّعرة القومية والنَّزعة الشُّعوبية.

الدَّافع الحضاري أو الفكري:

والطَّائفة التّي خضعت له اتخذت من الزَّندقة وسيلة من وسائل العبث الفكري الذي يلجأ إليها المشككون دائمًا، يرمون من ورائها العبث بعقائد النَّاس فهي إذن حالة نفسية عنيفة تملكهم فتدفعهم إلى ما هو أشبه باللّهو الفكري والمجون الشَّكي منه إلى شيء آخر، ويمكن إضافة دافع رابع وهو دافع اجتماعي والطَّائفة التّي خضعت له اتخذت الزَّندقة وسيلة من وسائل التَّطرف وحسن النَّدامة وسمة على الرُّقي الاجتماعي [1] وبالتَّالي يمكن اعتبار الزَّندقة أربعة أنواع بناءً على ما ذكره هدَّارة وهي: الزَّندقة الدِّينية، والزَّندقة السِّياسية، والزَّندقة الاجتماعية، والزَّندقة الفكرية، وقد ذكر هدَّارة عددًا لابأس به من الشُّعراء الذين اتهموا بالزَّندقة نذكر منهم: الوليد بن يزيد[2]، وأبو دلامة[1]، مطيع بن إياس، حمَّاد عجرد،

[1]- محمَّد هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص239.238.

[2]- المرجع نفسه ، ص241.

يحيى بن زياد الحارثي، أبان اللَّاحقي، علي بن الخليل، وصالح بن عبد القدوس، فهؤلاء الشُّعراء وغيرهم منهم من ثبتت عليه تهمة الزَّندقة ومنهم من كانت الرِّوايات مضطربة في زندقتهم حيث تثبت بعض المصادر زندقته والبعض الآخر ينفيها ممَّا جعل هدَّارة يرى هذه الأخبار مضلِّلة وغير يقينية.

إنَّ هؤلاء الشُّعراء الذين انعكس في شعرهم تيار الزَّندقة في القرن الثَّاني يمثلون اتجاها شعرياً كان له أثره في هذا القرن فوجود مثل هذا الاتجاه رغم شذوذه إنَّما هو انعكاس لطبيعة المجتمع الذي أثرت فيه الثَّقافات الأجنبية المليئة بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام، والزَّاخرة بالمذاهب والنحل المختلفة التي غزت الفكر العربي في القرن الثَّاني.

كما يمكن أن نقول أنَّ لكلِّ فعل ردة فعل يمكن أن نقول أنَّ المجتمع الإسلامي كان عرضة لمثل هذا الاتجاه المنحرف لكن لم يكن وحده في تأثيره على هذا المجتمع، وإنَّما كان هناك تيار آخر.

يمكن أن نعتبره ردَّة فعل على هذا الانحلال الواقع في هذا المجتمع وهو تيار الزُّهد، وسنتناول فيما يلي كيف تناول هدَّارة تطور هذا التيار ومدى انعكاسه في قصائد شعرائه.

الزُّهــد:

جاء في مقاييس اللُّغة الزُّهد: "(زَهِدَ) الزَّاءُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الشَّيْءِ. وَالزَّهِيدُ: الشَّيْءُ الْقَلِيلُ، وَهُوَ مُزْهِدٌ: قَلِيلُ الْمَالِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُزْهِدٌ» وَهُوَ الْمُقِلُّ، يُقَالُ مِنْهُ: أَزْهَدَ إِزْهَادًا. قَالَ الْأَعْشَى:

فَلَنْ يَطْلُبُــوا سِـــــرَّهَا لِلْغِـــــنَى وَلَـنْ يُسْلِمُـوهَــا لِإِزْهَـادِهَــا

[1]- المرجع نفسه، ص ص 243 -253

قَالَ الْخَلِيلُ: الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالزُّهْدُ فِي الدِّينِ خَاصَّةً. قَالَ اللِّحْيَانِيُّ: يُقَالُ رَجُلٌ زَهِيدٌ: قَلِيلُ الْمَطْعَمِ، وَهُوَ ضَيِّقُ الْخُلُقِ أَيْضًا. وَقَالَ بَعْضُهُمُ الزَّهِيدُ: الْوَادِي الْقَلِيلُ الْأَخْذِ لِلْمَاءِ. وَالزَّهَادُ: الْأَرْضُ الَّتِي تَسِيلُ مِنْ أَدْنَى مَطَرٍ.وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: " خُذْ زَهْدَ مَا يَكْفِيكَ"، أَيْ قَدْرَ مَا يَكْفِيكَ"[1].

والزُّهد هو "فن جديد نشأ في الشِّعر العبَّاسي بتأثير كثرة التَّرف، والدَّعوة إلى الرُّجوع إلى البساطة، وتغليب النَّظر إلى جانب الفقراء، ونقد المجتمع، على أنَّ في شعر الزُّهد جانباً من جوانب الدِّين الذي يوجب البساطة في كلِّ شيء."[2].

وقد اختلف النُّقاد في نشأته هل ظهر في القرن الثَّاني كموضوع جديد على ما رآه هدَّارة أم هو اتجاه قديم في الشِّعر العربي ظهر بصورة بدائية ساذجة ثمَّ نما وتطور في القرن الثَّاني ويرى هذا الرَّأي "كارلو نلينو"فهو "يعتبر الزُّهد من موضوعات الشِّعر الجاهلي كما يعتبر عدي بن زيد العبَّادي النَّصراني من الشُّعراء الزُّهاد."[3].

وقد نظر هدَّارة إلى الزُّهد على أنَّه "مذهب له خصائص معينة وله أصول وعناصر يرتكز عليها، وليس مجرد ميل فطري إلى الزَّهادة وتقوى الله، أو حالة من حالات الإيمان يصورها الشَّاعر كما يصوِّر أيَّ شعور ينتابه أو يتعرض له.

كما إنَّه فكرة عميقة يعتنقها الشَّاعر فتتغلغل في كيانه ويتلبس بها شعره، فلا يكاد يصوِّر الشَّاعر سواها من أحاسيس النَّفس أو من الصُّور التّي تقع تحت بصره."[4] ثمَّ بيَّن أنَّ هذا الاتجاه ظهر

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازي، مقاييس اللُّغة، ج3، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979، ص30.

[2]- محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأوَّل، مرجع سابق، ص202.

[3]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص280.

[4]- المرجع نفسه، ص284.

وتجلّى في العراق منذ عهد الأمويين إذ كان مرتبطاً بفكرة الثَّورة على هذا الملك أو النِّظام منذ القرن الأوَّل[1].

وقد كان تأثير حركة الزُّهد في القرن الثَّاني جلِّيا حيث كانت هذه الحركة متصلة بدوافع مختلفة منها ما كان دينياً كتقوى الله عزَّ وجلّ واستشعار تفاهة هذه الحياة الدُّنيا فلم تشغلهم زخارفها وزينها[2]بالإضافة إلى عوامل سياسية واجتماعية وربَّما اقتصادية.

وفي ذلك يقول هدَّارة:" أنَّه ممَّا لا شك فيه أنَّ نشأة الأحزاب السِّياسية وتطاحنها المرير الّذي شهده القرن الأوَّل، والذي امتد إلى القرن الثَّاني أيضاً كان من الأسباب التّي دفعت عددًا من النَّاس إلى التماس النَّجاة بعيدًا عن هذا الصِّراع السِّياسي، فلم يجدوا موئلا خيراً من الدِّين يلوذون به ويقصرون أنفسهم عليه"[3] بالإضافة إلى انتعاش الحركة المذهبية بقيام الدَّولة العبَّاسية وظهور الفرق والنِّحل المختلفة.

كما رأى هدَّارة أنَّ التَّطورات الاجتماعية التي حدثت في مكونات المجتمع وتغير العقلية العربية كان له تأثير في ظهور خطير في ظهور تيار الزُّهد وتطوره "فشيوع تيار اللَّهو والمجون والزَّندقة ووجود فوارق واضحة بين الطَّبقات الاجتماعية في ذلك العصر، كان لابد أن يوجد حركة عكسية مضَّادة تعكف على تقوى الله وتقصر نفسها على العبادة، وتحتقر المال وزخرف الدُّنيا وزينتها "[4].

كما أنَّ الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الإسلامي كان لها أثرها في إمداد حركة الزُّهد بقوة تدفعه للانتشار في أوساط هذا المجتمع فهدَّارة يرى أنَّ "الفروق الواضحة بين الطَّبقات الاجتماعية أوجدت طبقة فقيرة بائسة لم تكن تستطيع إلّا أن تقنع بالكفاف من الرِّزق معتصمة بتقوى الله.

---

[1]- المرجع نفسه، ص ن.

[2]- المرجع نفسه، ص286.

[3]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص287.

[4]- المرجع نفسه، ص288.

وربَّما كان سوء توزيع الثَّروة أوضح في البصرة منه في أي مكان آخر، وهذا هو السِّر في كثرة الزُّهاد بها، ثمَّ إنَّ تدفق الثَّروة على طبقة معينة في المجتمع الإسلامي من التِّجارة أو من الفتوحات أو ما أشبه أشاع التَّرف والإباحة وطلب اللَّذة المحرمة في المجتمع...وفتح الباب على مصراعيه أمام الشَّهوات والإلحاد "[1]وبهذا كان من الطَّبيعي أن توجد فئة تدفع هذه الحياة الشَّاذة التّي انتشرت في المجتمع العربي والإسلامي.

وقد اشتهر في هذا العصر عدد كبير من الزُّهاد والنُّساك الذين كانوا يحيون حياة كلّها تقشف وانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ ومن هؤلاء إبراهيم بن أدهم (ت 160)، وسفيان الثَّوري (ت161)، وداود الطَّائي (ت165)، ورابعة العدوية (ت180)[2]، وكذلك اشتهر من الشُّعراء بقصائدهم في الزهد أبو العتاهية وأبو نوَّاس وغيرهم كثير ممن ذكرهم هدَّارة في كتابه.

وإلى هذا الحدّ نكون قد أوضحنا بعض ما جاء في تيار الزُّهد في منجز هدَّارة الذي بين أيدينا، حيث بيَّن هدَّارة أنَّ هذا الاتجاه الجديد كان يعاكس الاتجاه الماجن المتزندق الذي سبق أن أشرنا إليه.

ثمَّ تناول بعد هذا اتجاهات أخرى لا تبعد كثيراً عن هذه الاتجاهات التّي أشرنا إليها مثل الشِّعر المذهبي والشِّعر التَّعليمي باعتبار أنَّ كلّ هذه الاتجاهات كانت في الغالب مذاهب يعتنقها أصحابها ويتعصبون لها، ويفنون حياتهم في الارتباط بها.

الشِّعــر المذهبــي :

[1]- المرجع نفسه، ص289.

[2]- علي جميل مهنا، الأدب في ظلِّ العبَّاسية، ط1، مطبعة النَّجاح الجديدة، الدَّار البيضاء، المغرب، 1981، ص64.

جاء في لسان العرب لابن منظور "المذهب: مصدر للفعل ذهب ذهابا وذهوبا ومذهبا في المسألة إلى كذا: أي رأي فيها ذلك الرأي ، ونقول تمذهب فلان بالمذهب اتبعه، والمذهب جمعه مذاهب وهو المعتقد والطَّريقة والأصل "[1].

نقصد بالشِّعر المذهبي الشِّعر الّذي قاله أصحابه في الانتصار لمذاهبهم المختلفة سواء أكانوا من الخوارج أو من الشيعة أو من المرجئة أم من أيّ فرقة من هذه الفرق الّتي كانت تصطرع، وتتناحر منذ نهاية القرن الأوَّل وبداية الثَّاني وبدأت تحلّ شيئا فشيئا محلّ الأحزاب السّياسية الّتي شهد القرن الأوّل صراعها المرير و اختلافاتها العميقة [2].

ويرى هدّارة أن عنصر الدّين من أبرز العناصر في هذا الغرض لأنَّ المذاهب كانت تستمد أصولها من أفكار دينية فناظرت الفرق بعضها البعض على أساس ديني وفلسفي دون أن تكون لها نواحٍ عملية في الحياة السِّياسية.

ولقد نذر بعض شعراء القرن الثَّاني أنفسهم أحيانًا لمذهب معين كالسَّيد الحميري الّذي قصر نفسه على الدَّعوة إلى مذهبه الشِّيعي، ويروى أنَّه وقف على بشار وهو ينشد الشِّعر فأقبل عليه وقال:

أيُّها المادح العبـــاد ليعطى إنَّ لله ما بأيدي العبـــاد.

فاسال الله ما طلبــت اليهم وارج نفـــع المنزّل العـــواد.

لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج6، مرجع سابق، ص48

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، ص320.

فقال بشار: من هذا ؟ فعرّفه، فقال: لو أنَّ هذا الرَّجل قد شغل عنَّا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا، وهنا يرى محمَّد هدَّارة أنَّ:" الشاعر المذهبي الحقّ لا يمدح فردًا إلا إذا كان لهذا الفرد صلة بمذهبه"[1].

ولعلَّ أقدم الفرق المذهبية في تاريخ الإسلام هي فرقة الخوارج التي تفرعت فيما بعد إلى شعب كثيرة تبلغ عشرين فرقة وهي "حزب ثوري صريح في عدائه للدَّولة القائمة وإذا كان مذهبهم مذهبًا سياسيا إلّا أنَّه مؤسس على فكرة دينية"[2].

وقد رأى هدَّارة أنَّ الخوارج في القرن لم يشهد لهم نشاطا كبيرًا بعد هزيمتهم على يد مروان بن محمَّد قبيل قيام الدولة العباسية بوقت قصير، وحتَّى البقية الباقية منهم لم يتطور شعرهم المذهبي تطورًا يذكر، بل ظلَّ يتضمن نفس المعاني ومن نماذج الشِّعر التّي ذكرها هدَّارة لهذه الفرقة، شعر لعمر بن الحسن الإباضي يقول فيه:

فـي فـتية شرطـوا نفـوسهم للمشرفـية والقـنا السّـمـرِ.

متـراحـمين ذوو يسـارهم يتعطَّفـون عـلى ذوي الفقر.

وذوو خصـاصتهم كأنَّهـم من صدق عفَّتهم ذوو فـقر.

متجمِّلون لطيب ضيـمـهم لا يهلعون لنبـوة الدَّهـر.

إذ يصف هذا الشَّاعر في هذه الأبيات أصحابه فيؤكد معنى تضحيتهم بأنفسهم في سبيل عقيدتهم وأنَّهم اشتراكيون بمعنى من المعاني التّي تؤديها الاشتراكية[3].

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص323.

[2]- المرجع نفسه، ص 325.

[3]- ينظر: محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص326.

ثمَّ ذكر هدَّارة فرقة المرجئة باعتبار أنَّها من أقدم الفرق الإسلامية نشأة، وقد أطلقت عليهم هذه التَّسمية لأنَّهم يرجئون الحكم ويكتفون بالإيمان وهم على ثلاثة أصناف:

- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية المعتزلة.
- وصنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالجبر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان.
- وصنف ثالث خارجون عن الجبرية والقدرية وهم خمس فرق: اليونسية والغسانية والثَّوبانية والتومنية والمريسية.

ومن شعرهم الّذي نقله هدَّارة قصيدة لثابت قطنة الّذي يعدّ أكبر داعية لهذا المذهب بعد أن آمن به، وهو يشرح عناصر مذهبهم فيقول:

ياهـــند فاستمعـي لـي إنَّ سيرتـنا أن نعبد الله لم نشرك بـه أحـــدا.

نرجـي الأمـــور إذا كانت مشبَّهة ونصدق القول فيمن جار أو عنـــدا.

المسلمـــون علـى الإسلام كلِّـهم والمشركون استوو في دينهم قـددا.

ولا أرى أنَّ ذنـــبًا بالـــغٌ أحـــدا م النَّاس شركًا إذا ما وحدوا الصَّمدا.

لا نسفك الدَّم إلَّا أن يـراد بنـــا سفك الدِّماء طريقًا واحدًا جـــددا.

كلُّ الخوارج مخط في مقالـــته ولو تعبَّد فيما قال واجتهـــــــدا.

أما عليٌّ وعثمان فإنَّهـــــــما عبدان لم يشركا بالله مذ عـــــبدا[1].

فهذه القصيدة تبين أنَّ المرجئة نظروا إلى هذه الحياة والحياة الأخرى نظرة أكثر تأمُّلا فأنكروا بصفة خاصة خلود عذاب النَّار للمسلمين.

[1]- ينظر: محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص327.

أما المعتزلة فتتفق فرقها على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة، وعلى أنَّ القرآن محدث ومخلوق، وأنَّ الله تعالى ليس خالقا لأفعال العباد، ويرتكز مذهب المعتزلة على أسس "خمسة: القول بالتَّوحيد، القول بالعدل، القول بالوعد والوعيد، القول بالمنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر"[1].

ومن شعرائهم صفوان الأنصاري إذ يصف في قصيدة له جهاد المعتزلة في دعوتهم، كما كشف عن بعض مبادئهم في قصيدته التي يتحدث فيها عن رأس من رؤوس المعتزلة وهو واصل بن عطاء، فيقول:

له خلْفَ شعب الصِّين في كلِّ ثغرة إلى سوسها الأقصى وخـــلف الــبرابر.

رجالٌ دعاة لا يفـلّ عزيمَـــــــهم تهكُّـمُ جـــبَّار ولا كـــيد مـــاكـــر.

إذا فال مرُّوا في الشِّتاء تـــطاوعوا وإن كان صيفًا لم يخف شـهر نـــاجر.

بهجرة أوطـــان وبـــذل وكـلـــــفة وشدَّة أخطار وكـدِّ الـــــــــمسافر.

وما كان سحبان يشق غبـارهـم ولا الشَّدق من حيَّيْ هـــــــلال بن عامر.

....

تلقَّب بالغزَّال واحدٌ في عصـره فمن لليتامى والقبيل المكـــــــــاثر.

ومن لحروريَّ وآخر رافـــــضٍ وآخر مرجيٍّ وآخر حـــــــــــائر.

وأمر بمعروف وإنكار منـــكرٍ وتحصـــــين دين الله من كلِّ كـــافرِ.

يصيبون فصل القول في كلِّ من طِق كما طبقت في العظم مدية جـــازر[2].

[1]- المرجع نفسه، ص330.

[2]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص330.

فشعر المعتزلة حسب ما رآه هدَّارة كان يصوِّر جانبًا من مبادئهم كما يتضمن رأيهم في مذاهب الفرق الأخرى.ومن شعرائهم أيضًا نجد بشر بن المعتمر وبشار بن برد ومسلم بن الوليد وإبراهيم النَّظام.

وقد أثرت مذاهب هؤلاء المتكلمين على الشّعراء في القرن الثَّاني تأثيرًا واضحًا فنجدهم يذكرون مبادئ هاته المذاهب في شعرهم ووجود مصطلحاتهم في الشِّعر، وهذا ما لاحظه غير واحد من النُّقاد والمفكرين سواء القدماء منهم كالجاحظ أو المحدثين صاحب كتابنا محمَّد هدَّارة.

أما فرق الشِّيعة فقد تميزت بغزارة إنتاجها الشِّعري ولعلها من أكثر الفرق المذهبية في هذا، وقد ردَّ هدَّارة هذا إلى "تأثيرها القوي في الحياة الفكرية في الإسلام كما يرجع إلى الكثرة الهائلة من الشُّعب التّي تفرعت عن الفرقة الأصلية "[1].

ونقسم هذه الفرقة إلى ثلاثة أقسام:

- الزَّيدية: وتنقسم بدورها إلى ثلاثة فرق: الجارودية، السُّليمانية أوالجريرية، البترية.
- الكيسانية: وتنقسم إلى فرقٍ كثيرة منها الكربية، الراوندية، البيانية، الحربية.
- الإمامية: وتنقسم إلى أكثر من خمس عشرة فرقة منها الكاملية، المحمدية، الباقرية، الشَّمطية، الإسماعيلية، الإثنا عشرية...[2]

ومن أشهر شعراء الشِّيعة كثير الّذي كان على مذهب الكيسانية إذ هو من الّذين ادعوا أنَّ محمَّد بن الحنفية لم يمت ومن قوله في ذلك:

ألا إنَّ الأئـــمة من قريـــشٍ ولّاة الحـــقِّ أربعـــة ســـــواء.

عليٌّ والثَّـــــلاثة من بنـــيه هم الأسبـــــــاط ليس بهم خفاء.

[1]- المرجع نفسه، ص336.

[2] - محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص336.337.

فسبطٌ سبـط إيمانٍ وبـــــرّ وسبـــــط غيَّـبته كربـــــــــلاء.

وسبط لا تراه العين حتَّـــى يقود الخيل يقــدمها اللّـــــــواء.[1]

وذكر هدَّارة بالإضافة إلى كثير مجموعة من الشُّعراء كانوا على مذاهب فرق الشّيعة منهم السَّيد الحميري[2] الّذي كان على نفس مذهب كثير، ومنصور النّمري[3]، الّذي كان شيعيًّا محضًا رغم مدائحه للعبَّاسيين وكان على مذهب الكيسانية أيضًا، ودعبل الخزاعي[4] الّذي كان من الرَّافضة الغلاة، وفيما عدا هؤلاء الشُّعراء الّذين كانوا من الرَّوافض الغلاة نجد هدَّارة ذكر شعراء شيعيين آخرين ليسوا من الرَّوافض الغلاة وذكر في مقدمتهم الكميت[5]، حيث عدَّه هدَّارة من أوائل الشُّعراء المذهبيين في أواخر القرن الأوَّل وبداية الثَّاني ومن شعراء الزَّيدية حسب ما قرَّره هدَّارة وذلك لعدم شتمه لأبي بكر وعمر والقول بظلمهم فاطمة بنت الرَّسول كما جاء في شعر النّمري، يقول الكميت:

أهوى عليًّا أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكرٍ ولا عمرا.

ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا بنت الرَّســـول ولا ميراثه كفرا.

الله يعلم مـــــاذا يأتيان بـــه يوم القيامة من عذرٍ إذا اعتذرا[6].

ففي هذه الأبيات بيَّن الكميت عقيدته في الخليفتين الرَّاشدين أبوبكر وعمر وبيَّن أنَّه لا يرضى بشتم كلِّ منهما وهذه عقيدة الزَّيدية فيهما إذهم يرون بجواز إمامة المفضول للفاضل.

---

[1] – المرجع نفسه، ص338.

[2] – المرجع نفسه، ص340.

[3] – المرجع نفسه، ص342.

[4] – المرجع نفسه، ص345.

[5] – المرجع نفسه، ص349.

[6] – محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص350.

ومن شعراء الشِّيعة أيضا الّذين لم يكونوا متطرفين ذكر هدَّارة إبراهيم بن هرمة الّذي يقول في شعره:

ومـــــــهما ألام على حـــبِّهم فإنِّـــــــي أحبّ بني فـــاطمه.

بني بنت من جاء بالمحكمات والـــــدِّين والسُّنة القـــــائمة[1].

ومهما يكن من أمر فإنَّ هدَّارة قد بيَّن أنَّ الشِّعر المذهبي كان اتجاها جديدًا في الشِّعر العربي في القرن الثَّاني يصوِّر الشُّعراء فيه الصِّراع بين المذاهب والفرق المختلفة الّتي كانت تمارس نشاطها الفكري في القرن الثَّاني.

وبهذا قد وقفنا على أهم الاتجاهات الجديدة التّي بينها هدَّارة في منجزه، والتّي كانت نتيجة لظهور عناصر ائتلفت فيما بينها وأثَّرت في ظهور هذه الاتجاهات ومن هذه العناصر اختلاف الذَّوق العام وانفتاح العرب على غيرهم من المجتمعات والثَّقافات الأجنبية.

المبحث الثَّالـث: مزايـا الكتـاب

لقد كان لزامًا علينا ونحن نكتب بحثاً موجزاً عن ناقد أدبي حديث عُنينا بدراسته واهتممنا بمنجزه الأدبي ألا وهو محمَّد هدَّارة الذي جمع بين أصالة التُّراث وعمق الثَّقافة المعاصرة المتأثِّرة بالأفكار الغربية وكان له دور واضح في نقل الكثير من الآراء والأفكار القديمة بمفاهيم معاصرة وله آراؤه الواضحة في كل ما نقله وحلَّله من نصوص أدبية عربية كانت أم غربية، وبعد قراءتنا لمنجز هذا الكاتب الكبير تبيَّن لنا منهجه وفكره الأدبي والنَّقدي، وبهذا آثرنا أن نكتب عن بعض مزايا هذا المنجز الأدبي عند هذا النَّاقد، تاركين المجال مفتوحاً للباحثين في دراسته بجرأة أكثر نقداً وتفصيلا ولعلَّ أهم مزايا هذا الكتاب ما يلي:

[1]- المرجع نفسه، ص352.

الرُّؤية التَّاريخية للشِّعر العربـي:

إنَّ المتصفح لمنجز هدَّارة الذي بين أيدينا سيجد أنَّه يتخذ منهجا تاريخياً في دراسته للشِّعر العربي في القرن الثَّاني حيث مكنته ثقافته الأدبية والنَّقدية الواسعة من الوقوف عند المفاصل الأساسية لنشأة هذا الشِّعر بمختلف اتجاهاته وأغراضه حيث تمكن هدَّارة من استخدام هذا المنهج مصحوباً بقراءة تحليلية ثاقبة مكنته من إصدار الأحكام في كثير من القضايا والإشكاليات التي اختلف فيها النُّقاد والمؤرخون سواء كانوا عربا أم غربيون، ولعلَّ أفضل مثال لرؤيته التَّاريخية تتبعه لنشأة الفرق التّي ذكرها وبيان محطاتها الأولى سواء كانت في القرن الثَّاني أو ما قبله، وبيان الشُّعراء الأوائل الّذين قالوا الشِّعر لصالح فرقهم ومذاهبهم.

– التَّحليل العميق والاستقصاء في متابعة الأفكار:

لم يكتف محمَّد هدَّارة في دراسته لاتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني بالقراءة السَّطحية لهذا التُّراث الأدبي بل حاول جاهداً أن يستنطق تلك النُّصوص الأدبية والرِّوايات التَّاريخية وتحليلها دون عزلها عن سياقها العام التّي وردت ونشأت فيه، ومن يقرأ آراءه ومقولاته في هذا المنجز يجدها قد تميَّزت بلغة موضوعية ودقيقة وبعيدة كلّ البعد عن الإبهام والغموض، ومن ذلك تتبعه للرِّوايات والتحقق منها في إثبات نسبة الشُّعراء الّذين اختلف النُّقاد في نسبتهم لإحدى الفرق والمذاهب الإسلامية كأبي العتاهية وبشار بن برد وغيرهم من الشُّعراء.

– الاستفادة من آراء الأدباء والنُّقاد العرب والمفكرين الغربيين:

من تتبع آراء هدَّارة في هذا المنجز والأطروحات والنُّقولات التّي وردت في كتابه يجده قد أفاد واطّلع على آراء النُّقاد والأدباء العرب والمفكرين الغربيين بحيث كان في غالب الأحيان يستشهد بكلام هؤلاء النُّقاد حين يريد أن يناقش أي قضية أو رأي اختلف فيه بين النُّقاد العرب أو الغربيين، ومن النُّقاد الّذين استفاد من آرائهم هدّارة في هذا المنجز نذكر على سبيل المثال لا الحصر سهير

القلماوي[1]، وفولرز[2]، وطه حسين[3]، ومحمَّد جابر عبد العال[4] وعبَّاس محمود العقَّاد[5] بالإضافة إلى نلينو وشوقي ضيف وآخرون...

وغير هذه المزايا الثلاث كثير، لكن هذه أبرز ميزات هذا المنجز الأدبي والتي رأينا أنَّها مكنته ليصبح مرجعًا أساسيا لجل الدِّراسات الأدبية والنَّقدية.

[1]- محمَّد هدَّارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني، مرجع سابق، ص350.

[2]- المرجع نفسه، ص222.

[3]- المرجع نفسه، ص223.

[4]- المرجع نفسه، ص237.

[5]- المرجع نفسه، ص256.

الـخـــاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدِّراسة الّتي أنجزناها حول ما ألفه "محمَّد هدَّارة" في كتابه اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني"خرجنا بعدَّة نتائج أرجو أن تكون معِينة لدارس هذا الكتاب على فهم ما احتواه في مجال تاريخ الأدب وخاصة في القرن الّذي تناوله النَّاقد وخصص له هدَّراة هذا الكتاب وتتلخص أهمّ هذه النَّتائج في ما يلي:

- أنَّ محمَّد هدَّارة من النُّقاد الّذين جمعوا في دراستهم بين الثَّقافة العربية القديمة والثَّقافة الغربية وهذا يتجلَّى بوضوح في هذا المنجز خاصة في استفادته من آراء المفكرين الأوروبيين الّذين اهتموا بدراسة الموروث الأدبي العربي.
- أنَّ هذه الثَّقافة الواسعة مكنته من فهم وتمثّل القضايا التّي يود أن يعالجها تمثلاً وفهمًا دقيقًا مكَّناه من كتابة منجز يعزّ نظيره اختصّ بدراسة القرن الثَّاني الهجري يدل على ذكاء فذ وفكر منظم واطّلاعٍ واسع.
- أنَّ محمَّد هدَّارة نجح إلى حدّ بعيد في تحديد المجدَّد من الجديد في اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري.
- أنَّ محمَّد هدَّارة يرى بأنَّ بدايات تطور الشِّعر العربي وظهور الأغراض الجديدة في الشِّعر كان في هذا القرن من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية.
- أنَّ الإيديولوجيات والخلفيات الفكرية كان لها أثر كبير في تطور أغراض الشِّعر في هذا القرن.
- أنَّ طابع الحضارة واتساع الرُّقعة الجغرافية للدَّولة الإسلامية وتثاقف المجتمعات العربية بغيرها من المجتمعات الأجنبية كالحضارة الهندية والفارسية كان له أثره البالغ في تغيُّر الذَّوق العربي ممَّا أثّر في تغير ذوق الشُّعراء والأدباء في هذا القرن وغيره من القرون.
- يؤكِّد النَّظر المتعمِّق في هذا المنجز أنَّ تاريخ الحضارة العربية يكشف عن أبعاد فكرية مختلفة لا يكتشفها إلّا من غاص في أغواره، ولا يحكم عليه إلا من كان له اطّلاع على جميع مكوناته.

- أنَّ محمَّد هدَّارة لم يكن من أولئك النُّقاد الّذين يتعصبون للآراء في معالجة القضايا التي يتناولها سواء كان رأي ناقد ومفكر أوروبي أو مفكر عربي، وإنَّما كان يناقش الآراء ويبحث فيها عمَّا يراه صائبا فيتبناه، وما رآه خاطئا ناقشه وبيَّن غلطه.
- أنَّ محمَّد هدَّارة يرى بأنَّ الشِّعر كيان حيٌ، وتطوره خاضع للعناصر المؤثرة فيه، ومن هذه العناصر تلك الخلفية المعرفية والثَّقافية والاجتماعية التّي ينطلق منها الشَّاعر.

وفي الختام فنحن لا نزعم أنَّنا بلغنا الكمال في هذا البحث، في استقصاء جهود هدَّارة في قراءة تطور الشِّعر القديم ولكننا نقر بأنّنا بذلنا قصارى جهدنا في إبراز تلك المعالم الّتي ميَّزت هذا المنجز فإن أصبنا فما توفيقنا إلا بالله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونسأل الله العفو والعافية.

قائمة المصادر والمـــراجـــع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1) إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، 2003.

2) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشِّعر، ج2، تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، 1955.

3) ابن منظور، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبوشادي ومجد فتحي السَّيد، ج9، المكتبة التَّوفيقية مصر.

4) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازي، مقاييس اللُّغة،ج3، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979.

5) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان تح:عبد السَّلام محمّد هارون، ج3، ط2، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده بمصر، 1965.

6) علي بن مُحَمَّد بن علي الزّين الشريف الجرجاني، التَّعريفات،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983.

7) محمَّد بن يعقوب الفيروز آبادى، القاموس المحيط، تح: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، ط8، مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

ثانيا: المراجع.

1) أحمد محمَّد حوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط3، دار نهضة مصر للطبع والنَّشر ، القاهرة، 1978.

2) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج2، دار الشُّؤون الثَّقافية العامة، بغداد، 1989.

3) أنيس المقدسي، أمراء الشِّعر العربي في العصر العبَّاسي ،دار العلم للملايين ، ط17، 1989، بيروت، لبنان.

4) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، 2003.

5) إيليا حاوي ، فن الهجاء وتطوره عند العرب ،ط1، دار الثَّقافة ، لبنان،1998.

6) سامي يوسف أبو زيد، الأدب العبَّاسي (الشِّعر)،دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2011.

7) شوقي ضيف، العصر العبَّاسي الأوَّل، دار المعارف، القاهرة، ط6، د.ت.

8) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشِّعر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1978.

9) صلاح مهدي الزُّبيدي، دراسات في الشِّعر العبَّاسي، ط1، الأكاديميون للنَّشر والتَّوزيع، عمان، الأردن، 2013.

10) طه حسين، حديث الأربعاء، ج2، دار المعارف، مصر، ط14، 1964.

11) علي جميل مهنا، الأدب في ظلِّ العبَّاسية، ط1،مطبعة النَّجاح الجديدة، الدَّار البيضاء، المغرب 1981.

12) محمَّد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العبَّاسي الأوَّل، دار الجيل، بيروت،ط1، 1992.

13) محمَّد مصطفى هدارة، اتجاهات الشِّعر العربي في القرن الثَّاني الهجري، دارا لمعارف، القاهرة، د.ط، 1963.

14) مصطفى صادق الرَّافعي، تاريخ آداب العرب،ج2، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، ط1، 1997.

15) مصطفى الشُّكعة، الشِّعر والشُّعراء في العصر العبَّاسي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986.

16) مصطفى صادق الرَّافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010.

17) يوسف خليف، تاريخ الشِّعر في العصر العبَّاسي ، دار الثَّقافة للطباعة والنَّشر، القاهرة، د.ط، 1981.

18) يوسف وغليسي، مناهج النَّقد الأدبي (ومناهجها وأسسها تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية)، جسور للنَّشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2007.

ثالثا: المجلات والمواقع الالكترونية:

1. حميد الحمداني، عتبات النَّص الأدبي، مجلَّة علامات في النَّقد، النَّادي الأدبي بجدة، مج12 العدد46، 2002.

2. محمَّد بن فهد البشر، تطبيقات البحث في مناهج العلوم الشَّرعية، من الموقع الالكتروني: .http://fac.ksu.edu.sa

فهـــــرس
الموضـــوعـــات

فهـــرس الموضـوعـات

شكر

إهداء

بطاقة فنية للكتاب

مقدمة..... أ-ج

الفصل الأوَّل: دراسة حول الكاتب والكتاب.

المبحث الأوَّل: مُحَمَّد مصطفى هدَّارة (السيرة الذاتية)..... 05

نشأته وتعليمه..... 05

المناصب التّي شغلها والأعمال التي تقلدها..... 05

الأعمال والمؤتمرات التّي شارك فيها..... 06

الجوائز التّي حصل عليها..... 07

مؤلفاته..... 07

وفاتـه..... 08

المبحث الثَّاني: دراسة في عتبات الكتاب..... 09

العتبة الأولى: العنوان..... 09

العتبة الثَّانية: التَّمهيد..... 10

العتبة الثَّالثة: فهرس الموضوعات..... 13

المبحث الثَّالث: المادة المعرفية المعتمد عليها في الكتاب..... 15

الفصل الثاني: دراسة في مضمون الكتاب

المبحث الأوَّل: دواعي تأليف الكتاب..... 18

المبحث الثَّاني: طبيعة العصر المتناول..... 21

الظُّروف السِّياسية..... 21

الظُّروف الاجتماعية..... 25

الظُّروف الثَّقافية..... 26

الظُّروف الاقتصادية..... 30

المبحث الثَّالث: المنهج المتَّبع في الكتاب..... 32

الفصل الثالث: أهم القضايا الكبرى في الكتاب.

المبحث الأوَّل: تطور أغراض الشِّعر من العصر الجاهلي إلى القرن الثَّاني الهجري. 35
المدح والشِّعر السِّياسي..... 35
الهجاء..... 39
الرِّثـــاء..... 43
الحكمة..... 47
الوصف..... 51
الطرد..... 55
الخمريات..... 59
التَّـغـزل..... 60
المبحث الثَّاني: الاتجاهات الجديدة في القرن الثَّاني..... 63
المجون..... 63
الزَّندقة..... 67
الزُّهـد..... 70
الشِّعر المذهبي 73
المبحث الثَّالث: مزايا الكتاب..... 80
الرُّؤية التَّاريخية للشِّعر العربي..... 80
التَّحليل العميق والاستقصاء في متابعة الأفكار..... 80
الاستفادة من آراء الأدباء والنُّقاد العرب والمفكرين الغربيين..... 81
خاتمة..... 82
قائمة المصادر والمراجع..... 85